
كتاب الهلال
سلسلة ثقافية شهرية
شعراء المجون
صالح جودت

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : يوسف السباعى

رئيس التحرير : صالح جودت

المشرف الفنى : جمال قطب

سكرتير التحرير : عايد عياد

العدد ٢٦٤ ـ شوال ١٣٩٢ ـ ديسمبر ١٩٧٢

No. 264 — Decembre 1972

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ ـ فى سائر انحاء العالم ٥ر٥ دولارات امريكية أو ٢ جـك ـ والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية ـ والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل عند الطلب على الاسعار المحددة ..

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــلاف بريشـــــــة
الفنان جمـــال قطب

صالح جودت



دار الهلال

روحوا القلوب ساعة بعد ســـــاعة ،
فــــان القلوب اذا كلت عميـــــــت
« حديث شريف


ابن الحجاج

على نحت القوافى من معادنهـــــا
وما على اذا لم تفهم البقـــــر ؟

هو الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر المعروف بابن الحجاج . وقد تولى حسبة بغداد الى ان عزل منها لفرط مجونه .

ويقول عنه مؤرخو الادب انه شاعر مفلق ، وقد جعلوه فى مرتبة امرىء القيس ، وقالوا : ولم يكن بينهما من هو مثلهما ، وان كان جل شعره فى المجون.

اما ياقوت ، فيكره ابن الحجاج الى حد انه كان يود لو انه لم يذكره فى معجمه ، ويقول لولا قول ابراهيم لابن المهدى ان جد الادب جد ، وهزله هزل ، لصنت كتابى هذا عن مثل هذا المجون

والواقع ان اكثر شعر ابن الحجاج مما تعف عن ذكره الاقلام والالسنة . ولكن لا سبيل مع هذا الى انكار ان ابن الحجاج كانت له طريقته الخاصة فى خلاعته ومجونه ، لم يسبقه اليها أحد ، وان الفاظه تتميز بالعذوبة والسلاسة .

وقد مدح الملوك والامراء والوزراء ، فلم تكن هيبتهم بمانعته من التبسط معهم الى حد الهزل دون أن يغضبوا عليه ، بل انهم كانوا يتقبلون هـــذا منه بالاحسان والانعام .

وحسبك منه ان تقرأ بعض مدحته فى الامير عز الدولة بختيار ، لتعجب من استحسان الامير لمثل هـــــذه المدحة

فديت وجـه الامير من قمـر
يجلـو القـذى نوره عن البصر
فـديت من وجهـه يشـككنى
فى انه من ســلالة البشر
ان زليخـــا لو أبصرتك لما
ملت الى الحشر لذة النظر (١)
ولم تقس يوسـفا اليـك كما
نجم السهى لا يقــاس بالقمـر
وكان يا سيـدى قميصـك ان
هربت منهـــا ينقـد من دبر
بل وحيـاتى لو كنت يوسفها
لم تك [illegible] العزيز برى
لأننى عـــالم لـــو
شـــممت ريا نسـيمها العطر
ســبقتها وانزلقت تتبعهـــا
ما بين تلك البيـوت والحجر

ويمضى بعد ذلك فى مدح سوأة زليخا وسوأة الامير، والامير يسمع ويبتسم !

❋❋❋

وكان له كثير من الهجاء ، منه قوله فى بعض من لم يحسنوا اليه :

---

(١) زليخا امراة العزيز ، صاحبة القصة مع يوسف عليه السلام ، وفى الابيات التالية اشارات الى القصة .

قد قلت لما غدا مدحى فما شكروا
وراح ذمى فما بالوا ولا شعروا
على نحت القوافى من معـادنها
وما عـلى اذا لم تفهمِ البقـر

وان ابن الحجاج ليصف نفسه ، فى قصيدة لا تخلو من الفخر ، وان كان يعترف فيها بالسخف فى شعره يقول عن نفسه

رجـل يدعى النبـوة فى السخـ
ـف ، ومن ذا يشك فى الانبياء
جـاء بالمعجزات يدعو اليهـا
فاجيبـوا يا معشر السخفـاء
حـدث السـن لم يزل يتلقى
علمـه بالمشـايخ الـكبراء
خاطر يصفع الفرزدق فى الشعـ
ـر ، ونحو (١) أم الـكسائى
غير انى اصبحت اضيع فى القو
م من البـدر فى ليالى الشتاء

***

ثم يعتذر ـ فى قصيدة اخرى ـ عن هـذا التردى بمستوى الشعر ، بانه لو اراد أن يتسامى لاستطاع ، ولـكنه يتبذل فى نظمه من أجل لقمة العيش. يقول

بالله يا احمـد بن عمرو
تعرف للنـاس مثل شعرى ؟
شـعر يفيض الـكنيف منه

(١) الكلمة المنقوطة . نمل صريح

من جانبى خاطـرى وفـكرى
فلفظـه منتن المعـــــانى
كأنه فلتـــــة بحــجر
لو جد شـعرى رايت فيـه
كواكب الليــــل كيف تسرى
وانمـــا هــزله مجـــون
يمشى به فى المعــاش أمرى

وهذا قول صدق .

فمن قليـل شـعره الجاد ، ندرك انه لو أمن غائلة الفقر لانقلب أمره ، فصار أكثره للجد واقله للمجون .

فمن جميـل خمرياته

يا صـاحبي استيقظا من رقدة
تزرى على عقل اللبيب الاكيس
هـــذى المجرة والنجوم كأنها
نهر تدفق فى حـديقـة نرجس
وارى الصبا قد غلست بنسيمها
فعلام شرب الراح غير مفلس ؟
قوما اسـقيانى قهوة رومية
من عهـد قيصر دنها لم يمسس
صرفا تضيف اذا تسلط حكمها
موت العقول الى حيـاة الانفس

ومن جميل وصفه لفوارة (نافورة) عند احد الامراء :

صـــنعت فى دارك فوارة
اغرقت فى الارض بها الانجما

فاض على نجم السـهى ماؤها
فأصبحت ارضـك تسـقى السما

***

وقد توفى ابن الحجاج سنة ٣٩١ هـ ، واوصى بان يدفن عند قدمى موسى الـكاظم بن جعفر الصـادق ، وان يكتب على قبـره « وكلبهم باسـط ذراعيـه بالوصيد » اذ هو شيعى المذهب . وقد نفـذت وصيته ، ويقال ان بعض أصحابه رأوه فى المنـام بعد وفاته ، فسألوه عن حاله ، فقال :

افسـد سـوء مذهبى
فى الشـعر حسـن مذهبى
لم يرض مولاى عـلى
سبى لاصـحاب النبى



ابن سيابة

« لان القى الله تبارك وتعـــــــالى
بذل المعـــاصى ، فيرحمنى ، احب
الى من ان القـــاه التبختــــر
ادلالا بحســـناتى ، فيمقتنى »

اسمه ابراهيم بن سيابة ، من موالى بنى هاشم وكان ماجنا خليعا حاضر النكتة ، يحب أهل الغناء ، ويمدح ابراهيم الموصلى وابنه اسحق ، فيجزيانه بأن يغنيا بعض شعره أمام الخلفاء ، فيناله من ذلك بعض الخير .

وكان مخنثا منحلا زنديقا

ومن وقائعه مع بشار بن برد ، انه جاءه يوما يقول له : ما رايت أعمى قط الا وقـد عوض من بصره : اما الحفظ والذكاء ، واما حسن الصوت ، فأى شىء عوضت ؟

فقال بشار الا ارى ثقيلا مثلك !

ويروى ان ابن سـيابة لقى ذات يوم غلاما أمرد ، فغمزه ، فاستجاب له الغلام ومضى معه الى بيتـه ، فأكلا وشربا ، ثم قال له الغلام انت يا ابن سـيابة زنديق ؟

قال نعم ...

قال أحب ان تعلمنى الزندقة ...

قال : أفعل ، وكرامة ...

ثم هم به ، فصاح به الغلام : ماذا تفعل ؟

قال : اعلمك الزندقة ، وهذا اول باب فى شرائعها.

***

وكان ابن سيابة فى طريق ، فلقى غلاما أمرد يعرفه ، ومع الغلام جارية مغنية ، اسمها رحاص ، تحب الغلام. فتلكأ ابن سيابة ، حتى سلم على الغلام ، وقبله قبلة تحمل الريبة ، فسبته الجارية سبا شديدا ، ثم هجره الغلام بعد ذلك . فقال ابن سيابة يلوم الغلام على هجره :

قل للذى ليس لى من
يدى هواه خلاص
أئن لثمتك سرا
فأبصرتنى رحاص
وقال فى ذاك قوم
على انتقاصى حراص
هجرتنى واتتنى
شتيمة وانتقاص
فهاك فاقتص منى
ان الجروح قصاص

وعوتب ابن سيابة على مجونه ، فقال لمعاتبيه ويلكم ، لأن ألقى الله تبارك وتعالى بذل المعاصى فيرحمنى ، احب الى من أن ألقاه أتبختر ادلالا بحسناتى فيمقتنى !

***

ولابن سيابة لمحات شعرية لطيفة ، وان لم تصل به الى مكانة بين شعراء عصره .

من ذلك انه عشق جارية سوداء ، وقال يسوغ هذا اللون من العشق ، وهو معنى مألوف عولج من قبله ومن بعده ، وان كان ابن سيابة قد احسن صياغته

يكون الخال فى وجه قبيح
فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مفتون على من
يراها كلها فى العين خالا

وله فى استعطاف الفضل بن ربيع ، عندما سخط عليه لكثرة مجونه

ان كان جرمى قد أحاط بحرمتى
فأحط بجرمى عفوك المأمولا
فكم ارتجيتك فى التى لا يرتجى
فى مثلها أحد فنلت السولا
وضللت عنك فلم أجد لى مذهبا
ووجدت حلمك لى عليك دليلا

فلما قرأها الفضل دمعت عيناه ، ورضى عنه ، وامر له بعشرة آلاف درهم



ابن لنكك

نعيب زماننا ، والعيب فينـــــــا
ولونطق الزمان اذن هجـــــــانا

هو محمد بن محمد بن جعفر، ابو الحسن ، المعروف بابن لنكك البصرى

كان صدر ادباء البصرة فى زمانه ، ولعله اراد ان يكون من فحول شعراء العربيــة ، ولـكن القدر ســد عليه الطريق ، بأن ظهــر فى عصره شــاعران اولى منه بكل مكانة ، ارتفع نجمــاهمــا ، وملأ شــعرهما الاســماع والابصــار ، همــا ابو رياش اليمــامى ، وأبو الطيب المتنبى .

ولم ترق موهبته الى مستوى عبقريتهما ، فلم يجد من سبيل يظهر به ضوؤه ولو خافتا فى ســماء نورهما المبهر ، الا أن ينقلب عليهما فيهجوهما ويعدد مثالبهما ويقف حياته على هــذا الدرب ، ويتجاوزهما فى بعض الاحيان الى شكوى زمانه ، وهجاء سائر شعراء عصره.

وشعره فى كل هــذا لا يزيد فى أكثر الاحيان على البيتين أو الثـلاثة ، مما يدل على انه لم يكن مهيــأ للفحولة ، وان كان مهيأ للمجون

فمن قوله فى شكوى الزمان :

نحن والله فى زمان غشــــوم
لو رأينــاه فى المنــام فزعنــا
يصبح الناس فيه من سوء حال

حق من مات منهمو أن يهنا
ومنـه :

جار الزمان علينا فى تصرفه
وأى دهر على الاحرار لم يجر ؟
عندى من الدهر ما لو ان أيسره
يلقى على الفلك الدوار لم يدر

ومنـه

نحن من الدهر فى اعاجيبا
فنسأل الله صبر ايوبا
اقفرت الارض من محاسنها
فابك عليها بكاء يعقوبا

وهكذا ترى فى هذه الابيات الستة ان معانيها كسائر اقوال الناس فى شكوى الزمن ، الا البيت الثانى من المقطعة الثانية فهو وحده الذى يرقى الى مستوى الجدة .

وكان يحنق اذا كان فى مجلس تردد فيه مدح سواه من اهل الادب والفضل ، ويقول :

زمان قد تفرغ للفضول
وسود كل ذى حمق جهول
فان أحببتمو فيه ارتفاعا
فكونوا جاهلين بلا عقول

***

ومع قلة ذكره ، فان له أبياتا مفردة سارت على ألسنة الناس حتى عصرنا هذا ، كالبيتين الاولين فى هذه المقطعة :

يعيب الناس كلهم الزمانا
وما لزماننا عيب سوانا

نعيب زماننا والعيب فينا
ولو نطق الزمان ، اذن هجانا
ذئاب كلنا فى زى ناس
فسبحان الذى فيه برانا
يعاف الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضا عيانا

***

اما قوله فى هجاء الشاعر أبى رياش اليمامى ، فكثير من أقبحه قوله :

نبئت ان أبا رياش قد حوى
علم اللغات وفاق فيما يدعى
من مخبرى عنه ، فانى سائل
من كان حنكه ب . . الاصمعى (١)

ولكنه خص المتنبى بنصيب أوفر من أهاجيه ، لان المتنبى كان ألمع نجما من اليمامى ، واطفأ منه لضوء ابن لنكك .

قال فيه معرضا بتسميته « المتنبى » وبحظوته عند أصحاب النعمة :

ما اوقح المتنبى
فيما حكى وادعاه
ابيح مالا عظيما
حتى أباح قفاه
يا سائلى عن غناه
من ذاك كان غناه
ان كان ذاك نبيا
فالجاثليق اله (٢)

(١) الكلمة المنقوطة ، سوأة الرجل .
(٢) الجاثليق : رئيس الاساقفة .

وقال فى هجائه معرضا بأبيه ، اذ كان ابوه سقاء بالكوفة

قولا لأهل زمان لا خلاق لهم
ضلوا عن الرشد من جهل به وعموا
اعطيتم المتنبى فوق منيته
فزوجوه برغم أمهاتكمو
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها
نعالهم فى قفا السقاء تزدحم

ومن اقبح قوله فيه هذان البيتان

متنبيكم ابن سقاء كوفا
ن ، ويوحى من الكنيف اليه
كان من فيه يسلح الشعر حتى
سلحت فقحة الزمان عليه

***

على انه لم يترك احدا من أهل العلم والادب والفضل فى زمانه الا هجاه كما أسلفت القول

قال يهجو علماء الفقه

أقول لعصبة بالفقه صالت
وقالت ما خلا ذا العلم باطل
اجل لا علم يوصلكم سواه
الى مال اليتامى والارامل

وقال يهجو الشاعر الرملى ، وكانت بينهما خصومة

حلف الرملى فيما
قص عنه وحكاه
يدعى يوم اصطلحنا

انني قبلت فاه
لم اقبل فاه ، لكن
قبلت نعلي قفاه

***

وقال يهجو المبرمان النحوى

صداع من كلامك يعترينا
وما فيه لمستمع بيان
مكابرة ومخرقة وبهت
لقد ابرمتنا يا مبرمان

***

واخيرا ... هجا اهل زمانه جميعا ، وقال فيهم

مضى الاحرار وانقرضوا وبادوا
وخلفني الزمان على علوج (١)
وقالوا قد لزمت البيت جدا
فقلت لفقد فائدة الخروج
فمن الـقى اذا أبصرت فيهم
قرودا راكبين على السروج
زمان عز فيه الجود حتى
كأن الجود فى أعلى البروج !

---

(١) العلج ، العير ، والحمار ، من كفار العجم .



ابن المعذل

اى ماء لحـــــر وجهك يبقى
بين ذل الهوى وذل الســــؤال

هو عبد الصمد بن المعذل ، ويكنى أبا القاسم .

وهو شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، بصرى المولد والنشأة .

وكان هجاء خبيث اللسان .

وكان أخوه أحمد بن المعذل شاعرا أيضا ، الا انه كان عفيفا ، ذا مروءة ودين وتقدم فى المعتزلة ، وله جاه واسع فى بلده وعند سلطانه لا يقاربه فيه عبد الصمد ، ولهذا كان هذا يحسده ويهجوه ، فيحلم أحمد عنه .

على ان عبد الصمد — برغم مجونه — كان اشعر من اخيه .

وكان أبوهما المعذل ، وجدهما غيلان ، شاعرين أيضا ومن شعر أبيهما قوله

الى الله اشكو لا الى الناس اننى
أرى صالح الاعمال لا أستطيعها
ارى خلة فى اخوة واقارب
وذى رحم ما كان مثلى يضيعها
فلو ساعدتنى فى المكارم قدرة
لفاض عليهم بالنوال ربيعها

وكان أبوهما المعذل هجاء كابنه عبد الصمد . هجاه ابان اللاحقى يوما ، قائلا :

كنت أمشي مع المعـــدل يوما
ففسا فسوة فـكدت اطـــير
فتلفت هـــــل ارى ظربانا
من ورائى والارض بى تستدير (١)
فاذا ليـس غـيره ، واذا اعـ
ـصـــار ذاك الفساء منه يفور
فتعجبت ثم قلت لقـد اعـ
ـرف ، هذا فيما ارى خنزير

فأجاب المعذل قائلا

صحفت أمك اذ سمتك فى المهـد ابانا
قد علمنـا ما ارادت ، لم ترد الا أتانا
صيرت باء مكان التاء والله عيانا
قطع الله وشيكا من مسميك اللسانا

***

ونعود الى عبد الصمد بن المعذل ، فنقول انه على قلة دينه ، وفساد سيرته ، وميله الى الغلمان ، كان يكثر من هجاء الزناة واتهامهم بالمعصية .

من ذلك ان شروين المغنى ، وقد كان حسن الصوت والضرب ، كان يعشق النساء ، ولا يبلغ فى غنائه الاوج الا اذا شاهد امرأة ، ولهذا كان من يحبون أن يسمعوه ، يجيئون بجويرية ســـوداء ، تطالعه وتلوح له بخرقة حمراء ، ليظنها امراة تطـالعه . فكان حينئـذ يحسن الغناء فغضب عليه عبد الصمد فى بعض الامـــور ، فقال يهجوه :

من حـل شروين له منزلا
فلتنهــه الاولى عن الثـانيه
فليـس يدعـوه الى بيتـه

---

(١) الظربان حيوان صغيرنتن يقال انه اذا فسا فى ثوب لم تذهب رائحته حتى يبلى .

الا فتى فى بيتـه زانيـه

وكان فى البصرة رجـل من الزناة ، وكانت امراته تزنى هى الاخرى ، فقال عبد الصمد يخاطبها

ان كنت قد صفرت اذن الفتى
فطالما صـفر آذانا
لا تعجبى ان كنت كشخنته
فانما كشـخنت كشـخانا

والـكشخان هو القـواد

***

ومن رقيق غزل عبد الصمد ، هـذا القول فى فتى من اصدقائه عشق جارية حلوة :

لسـان الهوى ينطق
وشـاهده يصـدق
لقد نم هـذا الهوى
عليك وما يشـفق
اذا لم تكن عاشـقا
فقلبك لم يخفق ؟
ومالك اما بـدت
تحار فـلا تنطق ؟
اشـمس تجلت لنـا
ام القمر المشرق ؟ ..

***

وكان عبد الصمد يعشق فتى من المغنين ، يقال له احمد ، فغاضبه الفتى وهجره ، فقال فيه :

سل جزعى مذ صددت عن حالى
هـل خطـر الصبر على بالى
لا غير الله سـوء فعلك بى
ان كنت اعتبت فيـك عذالى
ولا ذممت البـكا عليـك ولا

حمدت حسن السلو من سالى
لو كنت ابغى سواك ما جهلت
نفسى ان الصدود أعفى لى

***

ومن لطيف شعره فى وصف بستان له كان عامرا بالطيبات :

اذا لم يزرنى ندمانيه
خلوت فنـاديت بستانيه
فنادمته خضرا مؤنقا
يهيج لى ذكر أشجانيه
يقرب مفرحة المستلذ
ويبعد همى وأحزانيه
أرئ فيه مثل مدارى الظباء
فظل لاطلائها حانيه (١)
ونور أقاح شتيت النبات
كما ابتسمت عجبا غانيه
ونرجسه مثل عين الفتاة
الى وجه عاشقها رانيه

وكان كثير الهجاء لشعراء زمانه وكان هو والجماز يتهاجيان ، فيشمت أبو قلابة الجرمى فى عبد الصمد ، ويستزيد الجماز من الهجاء ، فقال عبد الصمد يهجو أبا قلابة

يا من تركت بصخرة
صماء هامته أميمه (٢)
ان الذى عاضدته
أشبهته خلقا وشيمه
وكفعل جسدتك الحديثة

---

(١) المدارى : قرون الظباء ـ والاطلاء جمع طلا ، ولد الظبى
(٢) الاميم : المشجوج الراس .

فعـــــل جـدته القـديمه
فتنـــاصرا ، فابن اللئيـ
ـمة ناصر لابن اللئيمـــه

***

واجتمع أبو تمام الطائى وعبـد الصـمد فى مجلس فتلاحيا ، وكان عبد الصمد سريعا الى الشعر ، وابو تمام بطيئا اليه .

قال عبد الصمد يهجو صاحبه

أنت بين اثنتين تبرز للنـا
س ، وكلتاهما بوجه مذال (١)
لست تنفك طالبـا لوصـال
من حبيب ، أو طالبا لنوال
اى ماء لحر وجهك يبقى
بين ذل الهوى وذل السؤال

فتأنى ابو تمام ، وخلا طويلا ، ثم قال

أفى تنظم قول الزور والفند
وانت أنزر من لاشىء فى العدد (٢)
أشرجت قلبك من بغضى على حرق
كأنها حركات الرمح فى الجسد (٣)

***

ولما كبر عبد الصمد تاب ، وقال فى توبته ، وهى عن عجز

هجرت الصـبا أيما هجرة
وعفت الفوانى والخمـــرة
طوتنى عن وصلها سـكرة
بكأس الضنى أيما سـكرة

---

(١) المذال المهان (٢) الفند الكذب
(٣) أشرجت : شددت الحقيبة بخيط أو نحوه



ابن مناذر

... وكان يرسل العقارب فى المسجد بالبصرة حتى تلسع الناس ، وكان يصب المداد بالليل فى ماء الوضوء بالمساجد حتى يسود وجوه المصـــــلين !..

هو محمد بن مناذر ، كان مولى سليمان القهرمانى ، وكان سليمان هذا مولى عبيد الله بن أبى بكرة ، وكان عبيد الله هذا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فابن مناذر ، اذن ، مولى لمولى لمولى !

ثم ادعى ابو بكرة انه ثقفى ، وادعى ســـــليمان انه تميمى ، وادعى ابن مناذر انه من بنى صبير بن بربوع. فهو مولى دعى ، لمولى دعى ، وهـــذا نسب لم يعرف احط منه فى تاريخ العرب !

وهـــذا سر ما تراكم فى نفسه من العقد ، فكان فى اول امره ناسكا ، ثم ترك هذا وهجا الناس ، وتهتك ، وكثر تهتكه ، وان ابا الفرج الاصبـــهانى ليعجب منه كيف بدأ بالنســـك والتأله ، ثم انتهى الى مثل هـــذا القول متغزلا فى أمرد فى مسجد ، يريد أن يظفر به

الا يا قمر المسجد هل عندك تنويل ؟
شفانى منك أن نولتنى ، شتم وتقبيل
ســلا كل فؤاد وفؤادى بك مشغول
لقد حملنى حبك ما لا يحمل الفيل

وابن مناذر شاعر فصيح ، متقـــدم فى العلم باللغة

امام فيها ، اخذ عنه كثير من اللغويين ، وقد صحب الخليل بن احمد وابا عبيدة ، واخذ عنهما علوم الادب واللغة والعروض ، وله معرفة بالحديث .

ولكن يحيى بن معين حذر الناس من رواية الحديث عنه ، وقال : لا يروى عنه من فيه خير .

فقيل له وما تعرف عنه ؟

قال اعرفه ... كان يرسل العقارب فى المسجد بالبصرة حتى تلسع الناس ، وكان يصب المداد بالليل فى ماء الوضوء بالمساجد حتى يسود وجوه المصلين .

ولما اسرف فى تهتكه ، وعظته المعتزلة ، فلم يتعظ ، فزجروه ، فهجاهم وقذفهم حتى نفى عن البصرة الى الحجاز الى آخر عمره

ويروى عنه انه لما وقع مع المعتزلة فتوعدوه ومنعوه من دخول المسجد ، هددهم بقوله ، وفيه اصرار على انتسابه كذبا الى بنى بربوع :

أبلغ لديك بنى تميم مالكا
عنى ، وعرج فى بنى بربوع (١)
انى اخ لكمو بدار مضيعة
بوم وغربان عليه وقوع
يا للقبائل من تميم ، مالكم
روبى ، ولحم اخيكمو مقطوع (٢)
واذا تحزبت القبائل صلتمو
بفتى لكل ملمة وقطيع
هبوا له ، فلقد اراه بنصركم
يأوى الى جبل اشم منيع
أن انتمو لم توتروا لأخيكمو (٣)

(١) مالكا : رسالة .
(٢) الروبى : الذين ارهقهم السير فثقل نومهم
(٣) توتروا : تفزعوا وتأخذوا ثأره .

حتى يبـــاء بوتره المتبــوع
فخذوا المفـازل بالاكف وايقنـوا
ما عشتمو بمذلة وخضـــوع
ان كنتمو حـربا على أحسـابكم
سمعا ، فقد أسمعت كل سميع

***

وكان مر اللسان ، حتى لقد خشيه أبو العتاهية ، الذى سأله يوما : كيف أنت فى الشعر ؟

فقال ابن مناذر اقول فى الليـلة عشرة أبيات الى خمسة عشر .

فقال أبو العتاهيــة أما أنا ، فلو شئت ان أقول فى الليلة الف بيت لقلت .

فحنق ابن مناذر ، وراجع ذاكرته فى أضعف شعر ابى العتاهية ، ثم قال له : أجل والله ، لانك تقول :

الا يا عتبــة السـاعه
اموت السـاعة الساعه

وتقول

يا عتـــب مالى ولك
يا ليتـــنى لم أرك

وانا أقول :

ستظلم بغـداد ويجلـو لنـا الدجى
بمكة ما عشنـــا ثلاثة أبحر
اذا وردوا بطحـاء مكة أشـــرقت
بيحيى وبالفضـل بن يحيى وجعفـر
فمـــا خلقت الا لجود أكفهـــم
وأرجلهم ، الا لأعواد منبـــــر

واستطرد يقول لأبى العتاهيــة : ولو أردت مثله ،

لتعذر عليك الدهر ، وانى لا أعود نفسى مثل كلامك الساقط .

فخجل أبو العتاهية وانصرف .

ومن طرائفه انه التقى بيونس النحوى ، وكان أصل يونس هذا من مكان ضئيل الشأن اسمه « جبل » . فقال له متخابثا ، وكأنه يسأله فى النحو : أينصرف جبل أم لا ؟ فقال يونس : لقد عرفت ما أردت يابن الزانية !

وانصرف . ثم ذهب ابن مناذر فى اليوم التالى فجمع قوما ، وقال لهم ان يونس النحوى يجهل النحو ، فكونوا شهودا .

وذهبوا اليه ، وكرر ابن مناذر سؤاله هل ينصرف جبل ؟ ..

وعرف يونس ما أراد ، فقال الجواب ما سمعته منى أمس ! ..

***

وكان له الى جانب كل هذا شعر حسن ، ولا سيما فى الرثاء .

ومن جميل رثائه لسفيان بن عيينة ، المحدث

يجنى من الحكمة سفياننا
ما تشتهى الانفس الوانا
يا واحد الامة فى علمه
لقيت من ذى العرش غفرانا
راحوا بسفيان على عرشه
والعلم ، مكسوين أكفانا

ومات ابن مناذر بمنفاه فى أرض الحجاز سنة ١٩٨هـ



ابودلامة

الم تعلمــا أن الخليفــة لزني
بمسجده والقصر ... مالى وللقصر ؟
أصلى به الاولى جميعــا وعصرها
فويلى من الاولى وويلى مــن العصر

هو ابو دلامة زند بن الجون .

وهو كوفى اسود ، وكان أبوه عبدا لأحد الصحابة من بنى أسد .

وكان أبو دلامة ماجنا ، مدمن خمر ، فاسد الدين، ردىء المذهب ، مرتكبا للمحارم ، مضيعا للفروض ، مجاهرا بذلك كله . ولكن الخلفاء والنــاس كانوا يتجاوزون له عن ذلك للطفه وظرفه

من ذلك ان ابا جعفر المنصور امر اصحابه يلبس السواد ، وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلهــا ، وان يعلقوا السيوف فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم « فسيكفيكم الله وهو السميع العليم »

فدخل عليه ابو دلامة فى هـذا الزى ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ ..

قال شر حال ، وجهى فى نصفى ، وسيفى فى استى ، وكتاب الله وراء ظهرى ، وقد صبغت بالسواد ثيابى ...

فضحك منه. وأعفاه وحده من هذا اللباس ، وسأله الا يكرر ما قال لتوه امام احد من الناس .

ومنه انه دخل على أم سلمةالمخزومية ، امرأة الخليفة أبي العباس السفاح ، بعد وفاة زوجها ، فاذا هي متفجعة ، فبكى وبكت معه ، وأنشدها قصيدة في رثائه ، فقالت له : لم أر أحدا أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة .

فقال ولا سواء ، يرحمك الله ، لك منه ولد وما ولدت أنا منه .

فضحكت ، ولم تكن ضحكت قبل ذلك ، وقالت لو حدثت الشيطان لاضحكته .

ودخل أبو دلامة على المهدي يبكي ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة .

فأمر له بثياب وطيب ودنانير ، وخرج . فدخلت أم دلامة على الخيزران ــ زوجة المهدي ــ فأعلمتها ان أبا دلامة قد مات ، فأعطتها مثل ذلك . فلما التقى المهدي والخيزران ، عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان .

وكانت له دالة على المنصور ، والمنصور لا يرده . دخل عليه يوما فأنشده :

رأيتك في المنام كسوت جلدي
ثيابا جمة وقضيت ديني
فكان بنفسجي الخز فيها
وساج ناعم فأتم زيني (١)
فصدق يا فدتك النفس رؤيا
رأتها في المنام كذاك عيني

فأمر المنصور له بذلك ، وقال له : لا تعد أن تحلم على ثانية ، فأجعل حلمك أضغاثا ولا أحققه .

---

(١) الساج الطيلسان

ثم خرج من عنده وشرب فى بعض الحانات فسكر ، وانصرف وهو يميل ، فلقيه العسس فأخذوه ، وقيل له من أنت وما دينك ؟

قال :

دينى على دين بنى العباس
ما ختم الطين على القرطاس
انى اصطحبت اربعا بالكاس
فقد أدار شربها براسي
فهل بما قلت لكم من باس ؟

فأخذوه وخرقوا ثيابه وساجه ، وساقوه الى أبى جعفر الذى أمر بحبسه فى بيت الدجاج .

فلما أفاق ، ورأى ثيابه على هذه الحال ، وهو فى بيت الدجاج ، سأل من الذى أمر بهذا ؟ فقيل له أمير المؤمنين ، فكتب له هذه الابيات

أمير المؤمنين فدتك نفسي
علام حبستنى وخرقت ساجى ؟
أمن صفراء صافية المزاج
كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى
لقد صارت من النطف النضاج
تهش لها القلوب وتشتهيها
اذا برزت ترقرق فى الزجاج ؟
أقاد الى السجون بغير جرم
كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان سهلا
ولكنى حبست مع الدجاج
وقد كانت تخبرنى ذنوبى
بأنى من عقابك غير ناج

على اني وان لاقيت شـــــرا
لحيرك بعـد ذاك الشـــر راج

فدعا به ، وسأله أين حبست يا أبا دلامة ؟ .. قال مع الدجاج . قال : فما كنت تصنع ؟ .. قال اقوقى معهن حتى اصبحت

فضحك المنصور ، وخلى سبيله .

وكان ذكيا فى طلب الصـلات من الخلفاء ، تدل على ذلك حكايته مع أحد الخلفـاء ، اذ مثـل بين يديه ، فسأله الخليفة : سلنى حاجتك .

قال كلب أتصيد به . قال اعطوه اياه .
قال ودابة أتصيد عليها . قال أعطوه
قال وغلام يصـــيد بالـكلب ويقوده ، قال اعطوه .

قال وجارية تصلح لنـا الصيـد وتطعمنا منه قال : اعطوه .

قال هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك ، فلا بد لهم من دار يسكنونها قال : اعطوه دارا تجمعهم .

قال فان لم تكن ضـيعة فمن أين يعيشون ؟ .. قال : قد أعطيتك مائة جريب (١) عامرة ومائة جريب غامرة (٢)

قال قد أقطعتـك أنا يا أمير المؤمنين خمسـمائة الف جريب غامرة من فيافى بنى أسد .

فضحك الخليفة ، وقال : اجعلوها كلها عامرة !

ويردد الجاحظ هذه الحكاية ، ويقول انظر الى

---

(١) الجريب شيء كالفدان .
(٢) غامرة : لا نبات فيها

حذقه بالمسألة ولطفه فيها ، ابتدأ بالكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتى بما يليه على ترتيب وفكاهة ، حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل اليه

***

وقد أحسن ابو دلامة استغلاله لهذه الخلة فى الخلاص من أداء فروض الدين ، دون أن يقام عليه الحد .

فقد ذهب احد الشانئين عليه الى أبى جعفر ، وقال له ان أبا دلامة عاكف على الخمر ، لا يحضر صلاة ولا يدخل مسجدا ، وقد أفسد فتيان المسكر ، فلو أمرته بالصلاة معك لكان لك عند الله أجرك فيه وفى فتيان عسكرك بقطعه عنهم .

فلما دخل أبو دلامة على أبى جعفر ، قال هذا له يا ابن اللخناء ، ما هذا المجون الذى يبلغنى عنك ؟

قال يا أمير المؤمنين ، ما أنا والمجون وقد شارفت باب قبرى ؟

قال : دعنى من استكانتك وتضرعك ، واياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر فى مسجدى ، فلئن فاتتاك لأحسنن أدبك ولأطيلن حبسك .

فوقع فى الحظر ، ولزم المسجد أياما . ثم كتب قصته ودفعها الى المهدى فأوصلها الى أبيه المنصور وكان فيها :

ألم تعلما ان الخليفة لزنى
بمسجده والقصر... مالى وللقصر؟ (١)
أصلى به الاولى جميعا وعصرها
فويلى من الاولى وويلى من العصر

---

(١) لزه الزمه .

اصليهما بالكره فى غير مسجدى
فما لى بالاولى ولا العصر من أجر
لقد كان فى قومى مساجد جمه
سواه ولكن كان قدر على قدر
يكلفنى من بعد ما شبت خطة
يحط بها عنى الثقيل من الوزر
وما ضره ، والله يغفر ذنبه
لو ان ذنوب العالمين على ظهرى

فلما قرأ المنصور هذه الابيات ضحك ، وأعفاه من الحضور معه ، وأحلفه أن يصلى الصلاة فى مسجد قبيلته .

***

ومن ذلك أيضا ان موسى بن داود اعتزم الحج ، وقال لأبى دلامة احجج معى ولك عشرة آلاف درهم فقال : هاتها .

فدفعت اليه ، فأخذها وهرب الى السواد ، فجعل ينفقها هناك فى شرب الخمر . فطلبه موسى فلم يعثر عليه ، وخشى فوت الحج ، فخرج بدونه

فلما شارف القادسية ، اذ هو بأبى دلامة خارجا من قرية الى أخرى وهو سكران . فأمر بأخذه وتقييده وطرحه فى محمل بين يديه ففعلوا به ذلك . فلما سار غير بعيد ، أقبل على موسى وناداه

يا أيها الناس قولوا أجمعون معا
صلى الاله على موسى بن داود
كأن ديباجتى خديه من ذهب
اذا بدا لك فى أثوابه السود
انى أعوذ بداود وأعظمه

من أن أكلف حجا يابن داود
خبرت ان طريق الحج معطشة
من الشراب ، وما شربى بتصريد (١)
والله ما فى من اجر فتطلبه
ولا البناء على دينى بمحمود !

فقال موسى : « القوه لعنه الله ، عن المحمل ، ودعوه ينصرف » . فألقوا به ، وعاد الى حاناته حتى نفدت العشرة آلاف درهم .

وألطف ما نختتم به الحديث عن أبى دلامة ، تلك الحكاية التى تدل على براعته فى الهجاء ، حين هجا زوجته أم دلامة ، لفرض فى نفسه ، وكيف كانت أم دلامة هى الاخرى أذكى منه فى انتقامها .

حجت الخيزران ، زوجة المهدى . فلما حرجت ، صاخ بها ابو دلامة أيتها السيدة ، انى شيخ كبير ، واجرك فى عظيم .

فسألته عما يريد ، فقال تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى ، وترفق بى ، وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى ، واطالت كدى ، وقد عاف جلدى جلدها ، وتمنيت بعدها ، وتشوقت فقدها .

فضحكت الخيزران وقالت سوف آمر لك بما سألت .

فلما عادت من الحج ذكرها بوعدها ، وخرج معها الى بفداد ، واقام حتى مل ، فى انتظار الوعد .

ثم دخل على أم عبيدة ، حاضنة موسى وهارون ، فدفع اليها رقعة قد كتبها الى الخيزران قال فيها :

---

(١) التصريد القطع

أبلغي سيدتي بالله يا أم عبيده
انها ارشدها الله ، وان كانت رشيده
وعدتني قبل أن تخرج للحج وليده
فتأنيت وارسلت بعشرين قصيده
كلما أخلقن أخلقت لها أخرى جديده
ليس في بيتي لتمهيد فراشي من قعيده
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديده
وجهها أقبح من حوت طرى في عصيده

وقرأت الخيزران القصيدة وضحكت ، وبعثت اليه بواحدة من جواريها ، وعليها خير زينتها .

ولم يكن أبو دلامة في البيت حين وصلت الجارية

ورأتها أم دلامة ، فجعلت تبكي ، فدخل عليها ابنها دلامة ، فراعه بكاء أمه ، فسألها عن أمرها ؟ فقالت له ان اردت أن تبرني يوما من الدهر فاليوم

فقال لها قولي ما شئت ، فاني افعله

قالت تدخل على الجارية فتعلمها انك مالكها ، فتحرم على أبيك ، والا ، ذهبت بعقله فجفاني وجفاك.

وفعل الفتى ما ارادت أمه .

وجاء أبو دلامة ، وكان قد علم بمجيء الجارية ، فسأل عنها ، فأشارت ام دلامة الى مكانها ، فدخل عليها ، فارتاعت اذ هو شيخ محطم ذاهب . فمد يده اليها وهم بها يقبلها ، ففزعت منه قائلة : ويلك ، تنح والا لطمتك لطمة دققت منها انفك

قال أبهذا أوصتك السيدة ؟

قالت انها بعثت بها الى فتى من حاله وهيئته

كيت وكيت ، وذكرت له ما كان بينهـا وبين الفتي ، فخرج اليه فلطمه وعنفه وحلف الا يفارقه الا عند الخليفة

وامسـك بخناقه ، وجره حتى وقف به على باب المهدى ، فلما دخل به ، سأله المهدى عن أمره فقال : لقد عمل بى هذا ابن الخبيثة ما لم يعمل ولد بأبيه ، ولا ترضيني الا أن تقتله

فضحك المهدى حتى استلقى فقال أبو دلامة محنقا أأعجبك فعله فتضحك منه ؟

قال دلامة قد سمعت حجته يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي هذا الشيخ أصفق الناس وجها ، يأتى أمى منذ أربعين سنة ، وما غضبت وآتى جاريتـه مرة واحدة ، فغضب وصنع بى ما ترى .

فضحك المهـدى اكثر من ضحكه الاول ، ثم قال دعها له يا أبا دلامة ، وانا اعطيك خيرا منها .

ووهبه جارية أخرى خيرا من الاولى



ابو العيناء

ان يأخذ الله من عيني نورهمـــــا
ففي لساني وسمعي منهمـــــا نور

هو محمد بن القاسم ، أبو عبد الله ، المعروف بابى العينـاء ، الاخبـارى الاديب الشاعر . ولد بالاهواز سنة ١٩١ هـ . وكان أعمى .

قيل ان جده الاكبر كان يلقى على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فيسىء الخطاب اليه ، فدعا عليه بالعمى له ولولده من بعده . فكل من عمى من ولد أبى العيناء فهو صحيح النسب فيهم .

وناقش المبرد هذه الرواية ، وقال ان أبا العيناء عمى بعد أن جاوز الاربعين وخرج من البصرة

وكان أبو العيناء من اظرف أهل الارض وأوفرهم ذكاء وسرعة جواب ، وكان يعرف ذلك فى نفسه ويقول :

ان يأخذ الله من عينى نورهما
ففى لسانى وسمعى منهما نور
قلب ذكى وعقل غير ذى خطل
وفى فمى صارم كالسيف مأثور

ويقال انه أصابه حول فى عينيه قبل أن يعمى ، فسأله أحدهم أيهما أصلح : الحول أم العمى ؟ فقال هما السقم الذى يجر الى الموت ، أو هما الزنا وتليه القوادة !

ومن جميل غزله وهو احول ، قوله

حمـــدت الهى اذ بلانى بحبها

على حول يغنى عن النظر الشذر
نظرت اليهـــا والرقيب يظننى
نظرت اليـه فاسترحت من العـــذر

***

وله لطائف كثيرة تدل على ظرفه ، منها

● انه شكا الى عبيد الله بن سليمان تأخر أرزاقه ، فقال له : ألم نكن كتبنا لك الى ابن المدبر ، فماذا فعل فى أمرك ؟ ..

قال جرنى على شوك المطل ، وحرمنى ثمرة الوعد.

قال أنت اخترته !

قال وما على ، وقد اختار موسى سبعين رجـلا من قومه ، فما كان منهم رشيد ، فأخذتهم الرجفة . واختار النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتبا ، فلحق بالمشركين مرتدا . واختـار على بن أبى طالب أبا موسى الاشعرى حكما ، فحكم عليه لا له ؟ ..

● واعترف بأن ابنا صغيرا لعبد الرحمن بن خاقان اخجله ذات مرة وغلبه . اذ رآه أبو العيناء ذكيا لماحا ، فقال له وددت لو أن لى ابنا مثلك

قال الطفل هذا بيدك

قال أبو العيناء كيف ؟ ..

قال : تحمل أبى الى امراتك فتلد لك ابنا مثلى .

● وكانت بينه وبين محمد بن مكرم مداعبات كثيرة : أراد ابن مكرم مرة أن يعـرض بالبصريين ، لان أبا العيناء من البصرة ، فقال له : كم عـدد البـخلاء فى البصرة ؟ فأجابه بقوله كعدد أهل البغاء فى بغداد .

وقيل له : ما تقول فى محمد بن مكرم والعباس بن رستم ، فقال هما الخمر والميسر ، اثمهما أكبر من نفعهما !

● وقال له ابن مكرم يوما احسبك لاتصوم رمضان.

فأجابه بقوله ويلك ، وهل تدعنى امرأتك أصوم ؟ ..

● وبات ليلة عند ابن مكرم ، فجعل هذا يفسو ، فقام ابو العيناء فصعد السرير ، فارتفع اليه فساؤه . فصعد الى السطح ، فبلغته رائحته ، فقال يا ابن الفاعلة . ما فساؤك الا دعوة مظلوم .

● ومر أبو العينـــاء يوما بدار عدو له ، فســال عن حاله ، فقيل له : كما تحب . قال : فما لى لا أسمع بكاء ولا عويلا ؟ ..

● وسرق لص حمــاره . فقــالوا له كيف سرق حمــارك يا أبا العينــاء ؟ .. قال : لم اكن مع اللص فأخبركم كيف سرق !

***

وكان أبو العيناء تاركا للصــلاة والصيــام بل انه ليشهد على نفسه انه يستحل أن يمد يده الى ما ليس له ..

يقول مررت يوما فى درب ببــلدة سر من رأى ، فقال لى غلام يا مولاى ، فى الدرب حمــل سمين ، والدرب خال ، فأمرته أن يأخذه ، وغطيته بطيلسانى ، وسرت به الى منزلى . فلما كان الغد ، جاءتنى رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : « جعلت فداك . ضاع منا بالامس حمــل ، فأخبرنى صبيــان دربنا انك أنت أخذته ، فهل تأمر برده متفضلا ؟ » فكتبت اليه أقول : « سبحان الله ! ما أعجب هــذا الامر ! مشايخ دربنا يزعمون أنك تدر بيتك للبغاء ، وأنا اكذبهم ولا أصدقهم وتصدق أنت صبيان دربك أنى آخذ الحمل ؟ » ...

قال أبو العيناء : فسكت الرجل ، ولم يعد الى طلب الحمل .

● ومر به سائل ، فدعاه ابو العيناء للطعام ، فأكل الرجل كل شيء ، فقال له يا هذا ... دعوتك للطعام رحمة بك ، فدع لى شيئا آكله رحمة بى ..

● ودعاه قوم يوما الى طعام ، وجاءوا بقدر تحسسها ابو العيناء ، فلم يجد بها لحما ، بل كلها عظام ، فقال : ويحكم ... أهذه قدر أم قبر ؟

● وكان يتخذ خادمين أسودين . فسئل لم اتخذهما اسودين ؟ .. فقال اما أسودان ، فلئلا اتهم بهما ، واما خادمان اثنان ، فلئلا يتهما بى !

***

وقصة خروجه من البصرة من أطرف قصص حياته. ذلك انه راى فى السوق غلاما يباع بثلاثين دينارا ، وهو يساوى فى هيئته ثلثمائة ، فاشتراه .

وكان ابو العيناء يبنى بيتا ، فأعطى الغلام عشرين دينارا ينفقها على العمال . فأدى لهم عشرة ، واشترى بالعشرة الاخرى لباسا لنفسه . فلما ساله فى ذلك قال : ان أرباب المروءات لا يعتبون على غلمانهم هذا .

قال ابو العيناء فى نفسه ترى هل اشتريت الاصمعى ولم ادر ؟ ..

ثم اراد ابو العيناء أن يتزوج فى السر امرأة دون ان تعلم ابنة عمه ، زوجته الاولى ، فاستودع الغلام سره ، وأعطاه دينارا لحفاظ السر ، وقال له : اشتر به سمكا وكله .

فانفق الغلام الدينار ولم يشتر السمك ، فساله ابو العيناء ، فقال الغلام : رايت بقراط يذم السمك .

قال ابو العيناء فى سره : أترانى اشتريت جالينوس ولم ادر ؟ ..

واحب أن يؤدبه ، فضربه عشر مقارع ، فقام الغلام

الى المقرعة ، فضرب أبا العيناء سبعا ، وقال له : يا مولاي ، الادب ثلاث فقط ، ولهذا ضربتك سبعا قصاصا . فرماه أبو العيناء فشج رأسه ، فذهب الغلام الى زوجة أبي العيناء الاولى ، وروى لها قصة زواجه بالثانية ، فمنعته من دخول البيت ، حتى طلق الثانية.

وكره الغلام لا يكلّمه ، واعتقه ، ولكن الغلام لم يبرح البيت ثم أراد الحج ذات يوم ، فزوده بما يلزمه ، فسار وعاد بعد عشرين يوما ، وقال ان الطريق قد قطع .

ثم اراد ان يخرج للجهاد ، فجهزه أبو العيناء ، فما أن ادار ظهره ، حتى خشى أبو العيناء أن يعود ، فباع بيته ونزح عن البصرة

***

كان أبو العيناء هجاء لم يصل الى حد الابتذال

كان يكره الوزير أحمد بن الخصيب ، وكان هذا كثير الحماقة غبيا جاهلا ، اذا ناقش وغلب على امره ركل مناقشه .

قال أبو العيناء فيه ، يشكوه للخليفة

قل للخليفة يابن عم محمد
اشكل وزيرك انه ركال
قد احجم المتظلمون مخافة
منه وقالوا : ما نروم محال
ما دام مطلقة علينا رجله
أو دام للنزق الجهول مقال
قد نال من اعراضنا بلسانه
ولرجله بين الصدور مجال
امنعه من ركل الرجال وان ترد
مالا فعند وزيرك الاموال

وقال يهجو أسد بن جوهر

تعس الزمان لقــد اتى بعجاب
ومحا رسـوم الظـرف والآداب
وافى بكتاب لو انبسـطت يدى
فيهم رددتهمـــو الى الـكتاب
جيـــل من الانعـام الا انهم
من بينهـا خلقـوا بلا اذناب !

***

وفى قصائده كثير من الابيات المفردة التى تسير مسار الامثال ، كقوله :

ألم تعـلمى يا عمـرك الله اننى
كريم على حين الـكرام قليـل
اذا كنت فى القوم الطوال فضلتهم
بطولى لهم حتى يقـال طـويل
ولا خير فى حسن الجسوم وطولها
اذا لم يزن طول الجسوم عقول
ولم أر كالمعروف ، اما مذاقه
فحلو ، واما وجهـه فجميـل

***

وقد توفى أبو العيناء فى بغداد سنة ٢٨٣ هـ ، وله من العمر اثنتان وتسعون سنة .



ابو نواس

الم ترنى ابحـــت اللهـــو نفسى
ودينى ، واعتكفـــت على المعاصى ؟
كانى لا اعـــود الى معـــاد
ولا اخشى هنـــالك من قصـــاص

أوشـك النهـار أو أكثره أن يمضي ، وابو نواس واصحابه من اهل المجون فى رحاب الجارية الغانيـة « عنان » يشربون ويسمرون ويضـحكون ، حتى اذا قاربت الشمس المغيب ، لم يشاءوا أن يجعلوا الليـل لباسا ، بل راحوا يفكرون أين يمضون ليلتهم عاكفين على ما هم فيه من أنس وشراب وفسوق ، وكل يدعو الى بيته .

فأقسمت « عنان » عليهم الا تكون الدعوة الا شعرا ، والا ، فما لهم الا أن ينزلوا على ما تقول ..

وهكذا بدأ الحوار

قال « الرقاشي »

عـــذراء ذات احمـــرار
انى بهـــــا لا أحاشى
قوموا نـــــداماى رووا
مشــاشــكم من مشــاشى
وناطحونى كؤوســـــــا
نطـــاح صـــلب الـكباش
وان نكلت ، فحـــــل
لـــــــكم دمى ورياشى

وقال ابو نواس :

لا ، بل الى ثقـاتى
قوموا بنـا بحيـاتى
قوموا نلذ جميـــعا
بقـــول هاك وهات
فان أردتم فتـــاة
أتيتـــكم بفتـــاتى
وان أردتم غـــلاما
صـــادفتمونى مواتى
فبـــادروه مجونا
فى وقت كل صـــلاة
وقال الحسين الخليع
أنا الخليـــع فقوموا
الى شـــراب الخليع
الى شـــراب لذيذ
وأكل جـدى رضيـع
ونيـــل أحوى رخيم
بالخندريس صـــريع
فى روضـة جادها صو
ن غاديات الربيـــع
قوموا ننـال جميعـــا
منـــال ملك رفيـــع
وقال الوراق :
عوجوا الى بيت عمرو
الى ســماع وخمـر
وســاقيات علينـــا
تطـــاع فى كل أمر
هـلا ، وليس عليكم
أولى ولا وقت عصر
وقال محكم بن رزين

قـوموا الى دار لهـو
وظـل بيت دفـين
فيه من الورد والنر
جس والـيـاسـمين
وريح مسـك زكى
وجيـد المرزجون
قوموا فصيروا جميعا
الى الفـتى ابن رزين

وقال الحسين الخياط

قضت عنـان علينـا
بأن نزور حسينـا
وأن تقـروا لـديه
بالقصف واللهو عينـا
فما راينـا كظرف الـ
ـحسين فيمـا رأينـا
قـد قرب الله منه
زينـا وباعد شينـا
قوموا وقولوا أجـزنا
ما قـد قضيت علينـا

وقالت عنان

مهـلا فديتـك مهـلا
عنـان أحرى وأولى
بأن تنـالوا لديها
أشـهى نعيم واحـلى
فان عنـدى حراما
من الشـراب وحلا
لا تطمعوا فى سـوائى
من البـرية كلا

يا سادتى خبرونى
أجار حكمى أم لا ؟
فقالوا جميعا : أجزنا حكمك !
وقضوا الليلة عندها حتى الصباح ... وحتى الصبوح !

***

وقد أحببت أن أبدأ الحديث عن شيخ العابثين ، ابى نواس ، بهذه الصورة التى قد تكون حدثا فى حياة شاعر من شعراء عصرنا اذا وقعت له ـ وقلما تقع ـ ولكنها كانت صورة من الصور المألوفة كل ليلة فى حياة شاعرنا ، ابى نواس .

واسمه الحسن بن هانىء

وكان أبوه هانىء هذا جنديا ، ثم اعتزل واشتغل برعى الغنم وحياكة الملابس ، تعاونه زوجه جلبان ، وهى امرأة حلوة من الاهواز .

وقد شهد أبوه سقوط دولة بنى أمية ، وقيام دولة بنى العباس . وقد فرحت أمه جلبان بهذا الحدث ، لانها فارسية ، وقد أسلم العباسيون زمام الامور لأهل فارس .

واعتزل أبوه الجندية ، واشتغل بالحياكة ورعى الاغنام ، واستقرت الأسرة فى البصرة .

وولد ابو نواس سنة ١٤١ هـ فى عهد أبى جعفر المنصور ، ثانى خلفاء بنى العباس .

ومات أبوه ، واشتغلت أمه ببعض التجارة ، وحامت حولها الشبهات انها كانت تجعل بيتها وكرا للملذات . على انها أحبت وتزوجت فى النهاية ، وأهملت شأن ابنها ، واسمه عند مولده الحسن ، الذى التحق بالكتاب ، ليحفظ القرآن ويحسن القراءة والكتابة ، ثم عمل عند رجل من العطارين ، ولكنه كان يكثر من

التردد على مجلس العلماء والفقهاء ، ويقرمز فى الشعر

وكان الفتى جميل الطلعة ، رقيق اللون ، أبيض الجسم ناعمه ، منسدل الذوائب ، معتدل القامة ، حسن العينين والسن ، فصيحا منطيقا مليحا ، ألثغ بالراء يجعلها غينا ، وفيه حلاوة شمائل ...

***

وكان بدء التغير فى مجرى حياته حينما ذهب مع العطار الذى يعمل عنده الى الاهواز ، لعرض بضاعته على أبى بجير الاسدى ، عامل الخليفة على الاهواز وكان عنده شاعر جهير من أبناء عمومته ، وهو والبة بن الحباب ، وكان هذا مشهورا بزندقته ومجونه وانحرافه واقباله على الخمر والغلمان ، فما أن رأى الغلام الحسن ، حتى تعلقه قلبه ، وكان بينهما حديث عاجل شد كلا منهما الى صاحبه فلما آن لوالبة أن يعود الى الكوفة ، حيث يقيم ، أخذ معه الحسن وتعاشرا عشرة سيئة ، مع صحبة سوء من خلعاء الكوفة وماجنيها ، كلهم متهم فى خلقه ودينه

وهكذا قدر للحسن ، فى أول نشأته ، أن ينخرط فى هذه المدرسة من مدارس الشيطان ، وأن يكون لها عليه فضل تفتق برعمه ، وتعويده الارتجال والسبق فى المطارحات والمنادمات .

***

كان مقدم الحسن على الكوفة سنة ١٥٦ هـ ، فهو بعد صبى فى الخامسة عشرة ولكنه كان ، فضلا عن شاعريته ، وحسن روايته ، مولعا بضرب العود ، وكانت الكوفة حافلة بالقيان ، ومنهن فتاة غريرة هام بها الحسن ونظم فيها أول ما نعرف له من الغزل ، على حد رواية ابن خلكان ، قال فيها

جـــامل الهوى تعب
يســـتخفه الطـــرب
ان بكى يحـــق له
ليـــس ما به لعب
تضـــحكين لاهيـــة
والمحب ينتحــــب
تعجبين من ســـقمى
صـــحتى هى العجب
كلمـــا انتفى ســـبب
منـــك جاءنى ســـبب

وهكذا احرقه الشوق صبيـــا ، ولا سيما بعـــد أن اختفت هذه القينة الصغيرة فى زحام الحياة كما تغيب مثيلاتها ، فهـــام بغيرها وغيرها ، وانخرط فى ســـلك اللاهين بالحب .

ومما يرويه استاذه والبة ، قوله كنت نائما ذات ليلة ، والحسن الى جانبى نائم ، اذ اتانى آت فى منامى، فقال الهاتف : اتدري من هذا النائم الى جانبك ؟

قلت لا ...

قال هذا اشعر منك ، واشعر من الجن والانس. اما والله لأفتنـــن بشـــعره الثقلـــين ، ولأغرين به اهل المشرق والمغرب .

قال والبة : فعلمت انه ابليس ، فقلت له ماعندك؟

قال : عصيت ربى فى سجدة فأهلـــكنى ، ولو امرنى ان اسجد لهذا الف سجدة لسجدت .

***

وذهب الحسن بعد الـــكوفة الى البادية ، فأقام فيها عاما تفتحت فيه روحه وصلحت صحته واستقام لسانه ثم عاد الى البصرة ، فاستغرب القوم عودته ، وسألوه

ارغبت عن والبة ، ام مللت الكوفة ؟ ..

فقال : ان الكوفة لأجدى وأطيب من ان تمل ، ووالبة ممن لا يرغب عنهم ، ولكنى نزعت الى الاوطان واشتقت الى الاخوان .

وراح بالبصرة يتقلب على مجالس العلم والرواية واللغة — ولا تفوته حلقة درس ، وكان أستاذه الثانى ، بعد والبة ، هو خلف الاحمر ، الذى دربه على جودة السبك وحسن النقد ، وهو الذى اختار له اسم أبى نواس .

وكان أبو نواس شعوبيا ، من أثر أمه ، فكان لايفتأ يذكر الفرس ومجدهم ، ويتغنى بأعيادهم ومواسمهم ودنان خمورهم ، ويسخر من العرب لتفاخرهم بالانساب ، قائلا

عاج الشقى على رسم بسائله
وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكى على طلل الماضين من أسد
لا در درك ، قل لى من بنو اسد ؟
ومن تميم ؟ ومن قيس ولفهما
ليس الاعاريب عند الله من أحد !

واعانه على الزندقة ، ان الشكاك والدهريين ومروجي التعاليم اليهودية والنصرانية والمجوسية والثنوية والمانوية كانوا لا ينفكون يطوفون بالعواصم العربية ، يغرون الناشئة بالترخص فى الدين ، ويزينون لهم الزندقة والالحاد ، ولولا ان نفر لهم نفر من المتكلمين والمعتزلة لضاعت صولة الدين .

كل هذا كان له اثره فى أبى نواس ، حتى قال ، وكأنما يتخير مذهبه فى الدين :

يا ناظرا فى الدين ما الامر ؟

لا قـدر صـح ولا جبـــر
ما صح عندى من جميــع الذى
يذكر الا الموت والقبـــــــر

وهان عليه بعد ذلك أن يرتكب كل معصية ، ما دام قد تحرر من وازع الدين ، مما يلخصــه لك فى بيتين اثنين :

الم ترنى أبحت اللهــو نفسى
ودينى ، واعتكفت على المعاصى
كأنى لا اعــود الى معـــاد
ولا أخشى هنـــالك من قصـــاص

ولقد القى به فى سجن الزنادقة للمرة الاولى ، وهو ابن عشرين ، أو دونها ، على ان أكثر الشواهد تدلنا على ان أبا نواس لم يتزندق عن ايمان بالزندقة ، وانما اتخذ الزندقة — كأكثر أهــل عصره — ســبيلا الى التظرف .

***

واعظم قصة حب فى حياة ابى نواس — بعد أن شب عن الطوق — هى قصة حبه للجارية جنـــان ، وكانت لآل عبد الوهاب الثقفى . وهى مقــدودة ، حلوة ، بديعة الحسن ، أديبة ، عاقلة ، تعرف الاخبار وتروى الاشعار ، فقال فيها أجمل شعره ، وصرح باسمها فى بعضه ، كقوله :

لمـــــا تكشفت عنى أننى كلف
كشفت أيضا لهم عمن به الـكلف
جيم وجــدت لها نونين ، بينهما
لمن تهجى اسمها أو خطــه ، ألف
يضمه من ثقيف بعض دورهمو
ما بينكم بعد ذا التبيــان مختلف

وراح يتابعها فى روحاتها وغدواتها ، ويخالسها النظر فى كل مناسبة ... حتى لقد مات يوما بعض سادتها ، فذهب يرقب من بعيد ، فلمحها سافرة تبكى وتلطم ، فقال

يا قمــــرا ابرزه مأتم
يندب شجوا بين أتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس
ويلطم الورد بعنــــاب
لا تبك ميتا حل فى حفرة
وابك قتيــلا لك بالبــاب

وقد ذل أبو نواس فى حب جنـان ، الى حـد أنها شكته يوما لمولاها ، فشكاه لبعض اخوانه وسبه عندهم، ثم أشفق من لسانه ، وخشى أن يكون موضع هجائه ، فلاينه ، فأجاب أبو نواس علي هذه الملاينة بأنه ليس بمن يهجو قوما عندهم جنان :

من سبنى من ثقيف
فاننى لن أسـبه
أبحت عرضى ثقيفـا
ولطم خـدى وضربه
وكيف ينكر هــذا
وفيهمو لى أحبــه
لأوســـمن بحلمى
عن الحبيب وكلبــه
ولا أكون كمــن لم
يوسـع لمولاه قلبـه
فقـام يدعو عليـه
ويجعل الله حسـبه

وخرجت جنان للحج فى ركاب سيدتها ، فبلغ الوله بأبى نواس أن خرج وراءها ، لعله يحظى منها بلقاء .

وهنـاك ، وقف أمام الـكعبة ، فأحس الزنديق برهبة الموقف ، وجلالة الله ، فراح يبكى كأشـد المؤمنين ايمانا ، ويلتمس العفو والمغفرة ، فى هـذه الابتهالة المنغمة

الهنـا ما أعدلك
مليـك كل من ملك
لبيك قـد لبيت لك
وكل من اهـل لك
لبيـك ان الحمد لك
والملك ، لا شريك لك

***

والليل لمـا أن حلك
والسـابحات فى الفلك
على مجـارى المنسلك
ما خاب عبـد أملك
انت له حيث سـلك
لولاك يـارب هـلك

***

يا مخطئـا ما اغفـلك
عجـل وبادر أجـلك
واختـم بخـير عمـلك
لبيـك ان العـز لك
والملك ، لا شريك لك
والحمـد والنعمـة لك

***

هل كان أبو نواس صادقا فى هذه التوبة ؟

ان ما كان من أمره بعد هذا يدلنا على انه حينما قال تلك الابيات ، انما كان مأخوذا بموقف الرهبة بين يدى الله ، ولـكن هـذه الرهبة لا تلبث أن تزول حين يرى جنان ، فيتـابع خطوها فى كل مكان ، حتى همت بلثم الحجر الاسود ، فزعم هو الآخر انه يهم بلثمه ، فلصق خده بخدها فى زحام النـاس ، وقد وصف لنـا هـذا المشهد فى ابيات جريئة يقول فيها

وعاشـــقين التف خداهما
عند التئام الحجر الاســود
فاشـتفيا من غير أن يأثما
كأنما كانا على موعـــد
لولا دفاع النـــاس اياهما
لمـا استفاقا آخر المسند
ظللـــا ، كلانا ساتر وجهه
مما يلى جانبـــه باليـــد
نفعل فى المسجد ما لم يكن
يفعـله الابرار فى المسـجد

***

وعاد ابو نواس الى البصرة ، فعـاد الى صـبوته بجنان ، حتى بلغت به الصبوة نهاية اليأس ، فهاجر الى بغداد ، وكانت قد بلغت قمة الحضارة ، وتلونت بلون الترف الفارسى فى عهد المنصور

وكان شعراء بغداد حتى ذلك الحين لايزالون ينهجون نهج الجاهليين من الوقوف على الرســوم والبكاء على الاطـلال ، فجاءهم ابو نواس بالدعوة الى الجديد ، قائلا :

لا جف دمع الذى يبكى على حجر
ولا صفا قلب من يصفو الى وتد

كم بين ناعت خمر فى دساكرها
وبين باك على نؤى ومنتضـــد

فلمـا جاءت خلافة الرشيد ، وابو نواس فى ذروة الثلاثين ، راح الشـــاعر الشـــاب يتقرب الى البرامكة ، ويسأل نداهم ، ويذكرهم بنسبه الفارسى، حتى اجزلوا له العطاء ، فكثر ماله ، وحسن حاله .

وما ان وقعت نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ ، حين غدر بهم الرشيد ، حتى اصبحت الكلمة بعد الخليفة لعدو البرامكة ، الفضل بن الربيع ، الذى قرب اليه اهل الادب والعلم ، ومنهم ابو نواس ، الذى مدحه فنال منه كل خير .

***

وقدم ابو نواس الى مصر فى عهـد الخصيب ، عامل العباسيين عليها ، فمدحه بكثير من قصائده ومنها

انت الخصيب وهـذه مصر
فتـــدفقا فـكلاكما بحر
لا تقعـدا بى عن مدى املى
شيئا ، فما لـكما به غدر
ويحق لى اذ صرت بينكما
الا يحل بســاحتى الفقر

وقد اكرم الخصيب وفادته ، وأجزل له العطاء ، كما مدح كثيرا من سراة مصر فوصلوه ، حتى اغتنى ، وقال :

يا ســـائلى كيف حالى
تنبيكه اشـــــعارى
بمصـــر صـــرت غنيـــا
عن ســـائر الامصـــار
بها اســـتقام طبـــاعى
وتم خلـــع عـــذارى

وقد تهتك أبو نواس فى أسواق مصر ، واسرف فى طلب الخمر والغلمان ، وكان يأخذهم الى بعض أديرة الاقباط لطلب اللذة ، وفى ذلك يقول :

هات من الراح فاسقنى الراحا
أما ترى الديك كيف قد صاحا
من كف قبطية مزنرة
تجعلها للصبوح مفتاحا
تقول للقوم من مجانتها
بالله لا تحبس الاقداحا (١)

على ان المقام فى مصر لم يرق لأبى نواس طويلا ، اذ لم تعجبه خمرها ، ولا تحرج أهلها من التهتك ، فشد رحاله عائدا الى بغداد ، ليستأنف حياة اللهو والمجون التى ألفها وتعودها

وصادفت عودته نوبة تزمت ركبت الرشيد بعد أن كبرت سنه ، فحملته على الغضب على الماجنين والمتهتكين ، حتى لقد أمر بالقاء أبى نواس فى سجن « المطبق » لجهره بالشراب

ودخل أبو نواس السجن مستسلما ...

وخرج من السجن بعد ذلك ودخله عدة مرات مرة لسكره ، ومرة لانحرافه ، ومرة لزندقته .. الخ .

يقال انه دخل المسجد يوما ، والامام يقرأ الآية الكريمة « قل يا أيها الكافرون » ، فوقف أبو نواس يصيح : لبيك !

فهاج الناس وماجوا وضربوه وساروا به الى صاحب الزنادقة الذى امر بسجنه .

ومما يدل على استهتاره بأمور الدين ، قوله فى غلام

---

(١) قد يبدو الوزن نابيا فى نهاية البيت ، ولكنه صحيح اذا جعلت الهمزة فى كلمة (الاقداحا) همزة وصل

ـمرانى مليح

تمر فاستحييك أن أتكلما
ويثنيك زهو الحسن عن أن تسلما
ويهتز فى ثوبيك كل عشية
قضيب من الريحان شب منعما
بحسبك انالجسم قدشفه الضنى
وان جفونى فيك قد ذرفت دما
اليس عظيما عند كل موحد
غزال مسيحى يعذب مسلما
ولولا دخول النار بعد بصيرة
عبدت مكان الله عيسى بن مريما

وقد روى صاحب الشرطة انه لما حبس ابو نواس ، كان اكثر من يزوره فى حبسه من المرد والشبان والخمارين ، وأصحاب الريبة وأضاف صاحب الشرطة انه عرف منهم وقتئذ من لم يكن يعرف ، فجعل عليهم الضرائب .

فلما اطلق سراح ابى نواس ، فقد صاحب الشرطة اكثر دخله منهم

على ان هذا الشاعر الماجن الذى قضى جل حياته فى العبث والفسوق والزندقة ، قد خلف لنا من نتاج أويقات زهده ـ وهى قليلة ـ ما لم يتركه أعمق المتصوفين ، كقوله :

حتى متى يا نفس تغـ
ـترين بالامل الكذوب
يا نفس توبى قبل أن
لا تستطيعى أن تتوبى
واستغفرى لذنوبك الر
حمن غفار الذنوب

وكقوله

يا نواسي توقــــــر
وتجمـــــل وتصـــــبر
ســــاءك الدهر بشيء
ربما ســــرك أكثر
يا كبــــير الذنب عفو
الله من ذنبــك أكبر
أكبر الاشياء من أصفـ
ـر عفو الله أصـــفر
ليس للانســـــــان الا
ما قضى الله ودبــــر

***

وكقوله

أيها الغـــافل المقيــم على السهـ
ـو ولا عذر فى المقـــام لسـاهى
ما بأعمـــالنـــا نطيــق خلاصـــا
يوم تبدو السماء فوق الجبـــاه
غير انى على الاســــاءة والتفـ
ـريط راج لحســـن عفــو الاله



ابو الهيثم

عش ، فحبيك سريعا قاتلى
والهوى ان لم تصلنى واصلى
وبكى العازل من رحمته
فبكائى لبكاء العاذل

هو خالد بن زيد ، واصله من خراسان ، وسمى ابا الهيثم ، وقد عاش ببغداد ، ومات سنة ٢٦٩ هـ وقد اشتهر فى زمانه لرقة شعره ، وكان من كتاب الجيش ، ثم تولى العمل ببعض الثغور

وقد أصابته فى فترة من حياته لوثة ووسواس ، اختلفت فيها الاسباب ...

فقيل انه اذ كان ببعض الموانىء ، سمع فى الطريق مغنية تغنى بصوت شجى :

من كان ذا شجن بالشام يطلبه
ففى سوى الشام أمسى الاهل والشجن

فبكى أبو الهيثم حتى سقط مغشيا عليه ، فافاق مختلطا ، ووسوس !

وقيل انه كان يهوى جارية لبعض أغنياء بغداد وقد نظم فيها شعرا كثيرا ، من أرقه قوله :

عش فحبيك سريعا قاتلى
والهوى ان لم تصلنى واصلى
ظفر الشوق بقلب دنف
فيك والسقم بجسم ناحل
فهما بعد اكتئاب وضنى

تركاني كالقضـــيب الذابل
وبكى العـاذل من رحمتـه
فبـــكائي لبـــكاء العـــاذل

فلما لم يقدر عليها ، اختلط ، وغلبت عليه السوداء ، وهى الداء المعروف علميا باسم الميلاخوليا ، اى المزاج السوداوى الذى يخيم الحزن على صاحبه .

وقيل انه كان مفرما بالغلمـــان ، ينفق عليهم كل ما يكسبه . فأحب غلاما يقال له عبد الله ، وكان ابو تمام الطـائى يهواه . ومن قول أبى الهيثم فى هـذا الغلام :

قضيب بان جنـــاه ورد
تحمله وجنـــة وخــــد
لم اثن طـــرفى اليـه الا
مات عزاء وعاش وجـــد
ملك طـوع النفـوس حتى
علمـه الزهو حـين يبـدو
واجتمـع الصـد فيه حتى
ليـس لخلق سـواه صـد

وسمع أبو تمام هذه الابيات ، فقال

شـعرك هـذا كله مفرط
فى برده يا خـالد البـارد

وعلم ابو تمام هذا البيت للصبيان ، فكانوا يجرون وراء أبى الهيثم فى الطـرقات ويرددون « يا خـالد البارد » حتى وسوس !

وهكذا وقعت المهاجاة بينه وبين ابى تمام من أجـل هذا الغلام ، فقال فيه يتهمه بالابنة :

يا معشر المرد انى ناصح لـكمو
والمرء فى القول بين الصدق والكذب

لا ينكحن حبيبا (١) منكمو أحد
فان وجعاءه أعدى من الجرب
لا تأمنوا أن تعودوا بعد ثالثة
فتركبوا عمدا ليست من الخشب

ويبدو ان قصة الوسوسة ، من أجل هذا الفلام ، طالت به سنين عمره ، حتى كان فيه أكثر شعره وأطيبه ومنه قوله يعاتبه :

يا تارك الجسم بلا قلب
آن كنت اهواك فما ذنبى
يا مفردا بالحسن أفردتنى
منك بطول الشوق والحب
ان تك عينى ابصرت فتنة
فهل على قلبى من عتب
فحسبك الله لما بى كما
انك فى فعلك بى حسبى

وانه ليحبه حتى ليشفق عليه من أن يصيبه من السقم ما أصابه ويدعو الله له ، يقول :

كبد شفها غليل التصابى
بين عتب وجفوة وعذاب
كل يوم تدمى بجرح من الشو
ق ونوع مجدد من عتاب
ياسقيم الجفون أسقمت جسمى
فاشفنى كيف شئت ، لابك مابى
ان أكن مذنبا فكن حسن العفـ
ـو أو اجعل سوى الصدود عقابى

وزادت الجنة بأبى الهيثم ، حتى لقد حدثنا ابن

(١) حبيب ، هو أسم أبى تمام

ابى سلالة الشاعر قال : دخلت بغداد بعض السنين ، فبينا أنا مار فى طريق ، اذا أنا برجل عليه مبطنة وعلى رأسه قلنسوة حمراء ، وهو راكب على قصبة ، والصبيان خلفه يصيحون : « يا خالد البارد ... يا خالد البارد » ... فلم ازل اطردهم عنه حتى تفرقوا ، وادخلته بستانا هناك ، فجلس واستراح ، واشتريت له رطبا فأكل ، واستنشدته فأنشدنى :

قد حاز قلبى فصار يملكه
فكيف أسلو وكيف أتركه
رطيب جسم كالماء تحسبه
يخطر فى القلب منه مسلكه
يكاد يجرى من القميص من النعـ
ـمة لولا القميص يمسكه

***

ومن تلك الصورة التى يرسمها لنا ابن سلالة ... من ذلك اللباس المضحك كالبهلوانات ، ومن ركوب القصبة ، ندرك مدى ما جنى عليه حب الفلام ، وبيت ابى تمام ، حتى مات بها فى بغداد سنة ٢٦٩ هـ .



الاقيشر

رأيتك أعمى العين والقلب ، ممسكا
وما خير أعمى العين والقلب يبخل
فلو صم ، تمت نعمة الله كلها
عليه ، وما فيه من الشر افضل

اسمه المغيرة بن عبد الله الاسدى ، ويكنى بأبى معرض . وقد غلب عليه اسم الاقيشر ، لانه كان شديد حمرة الوجه ، كأنما البس جلده مقلوبا .

وكان يكره أن ينادى بهذا الاسم

مر يوما ببنى عبس ، فى طريقه الى الحيرة ، فناداه احدهم : يا أقيشر ...

ومضى الاقيشر الى أن لقى عابر سبيل ، فقال له تعال معى ، فاذا أنشدت بيتا فقل لى : ولم ذاك ؟.. وخذ هذين الدرهمين .

فقال الرجل : بل أذهب معك بلا أجر ...

وسارا ، حتى اذا بلغا مجلس بنى عبس ، نظر الاقيشر الى الرجل الذى ناداه منهم ، وقال :

أتدعونى الاقيشر ذلك اسمى
وادعوك ابن مطفئة السراج

فقال صاحبه كما اتفقا : ولم ذاك ؟

قال الاقيشر :

تناجى خدنها بالليل سرا
ورب الناس يعلم ما تناجى

وانصرف الاقيشر وصاحبه ... وضحك بنو عبس

من صاحبهم ، وسموه طول عمره ابن مطفئة السراج .

***

من هذه الحادثة ، نلمس أن اقيشر كان ظريفا مهذارا لاذع الهجاء وكان الى جانب ذلك خليعا ماجنا يكثر من الشراب حتى لايعى ، وانه ليعترف بفسوقه فى أكثر من قصيدة ، منها :

فان أبا معرض اذ حسا
من الراح كأسا على المنبر
خطيب لبيب أبو معرض
فصار خليعا على المكبر
أحل الحرام أبو معرض
فان ليم فى الخمر لم يصبر
يجل اللئام ويلحى الكرام
وان أقصروا عنه لم يقصر

***

والاقيشر ، ولد فى الجاهلية ، ونشأ فى الاسلام ، وعمر طويلا .

ويروى ابن سلام ان الاقيشر كان عنينا لايأتى النساء ، وانه كان يغالط فى هذا فيتحدث عن فحولته بشعر قبيح لا يسمح لنا أدب القلم بذكره

ونحن نرجح رواية ابن سلام ، لاننا لم نجد فيما وقعنا عليه من شعر الاقيشر شيئا يستحق الذكر من الغزل أو التشبيب ، فجل حصيلتنا منه هجاء وزندقة وقول فى الخمر .

ومع هذا ففى سيرته انه تزوج ابنة عم له اسمها الرباب ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال عشرة آلاف ، لم يكن يملك منها شيئا ، فسأل قومه ، فلم يمدوا له يد العون ، فذهب الى ابن رأس البغل ، وهو دهقان

الصين ، وكان مجوسيا من عبدة النـــار ، فســـاله ، فأعطاه الصداق .

ومدحه الاقيشر بقصيدة لا ندرى اهى مدح أم ذم ، ولـكنها بالفة آية الطرافة قال :

كفانى المجوسى مهر الرباب
فدى للمجوسى خالى وعم
شهدت بأنك رطب المشاش (١)
وان أباك الجواد الخضـــم
وانك ســيد أهل الجحيم
اذا ما ترديت فيمن ظلم
تجاور قـــارون فى قعـــرها
وفرعون والمكتنى بالحكم (٢)

فقـــــال له المجوسى ويحك ، سألت قومك فلم يعطوك ، وجئتنى فأعطيتك ، فجزيتنى هذا القول ، ولم افلت من شعرك وشرك !

قال الاقيشر أو ما ترضى ان جعلتك مع الملوك وفوق ابى جهل ؟

***

من هذه الابيات التى قالها فى المجوس ، نستشف فى الاقيشر ـ على مجونه ـ لمحة ايمان ، فهو كمســـلم ، لا يعفى المجوسى من النار حتى ولو أعطاه عشرة آلاف درهم .

وقد عرفنا انه لا يحفل كثيرا بذكر النساء كما حفل غيره من أهل المجون ، ولا كان شعوبيـــا كأبى نواس وبشار ، وأكثر الماجنين ، بل عربيـــا يتعصب لقومه ، حتى ضد أطراف العرب

---

(١) رطب المشـــاش كريم النفس (٢) الحكم ابو جهل

خطب رجل من حضرموت امراة من بنى أسد ، قبيلة الاقيشر .
وراح الرجل يسأل عن احسابها وانسابها ، فساء الاقيشر ذلك ، فقال

حضرموت فتشت أنسابنا
والينا حضرموت تنتسب
اخوة القرد وهم اعمامه
برئت منكم الى الله العرب

★★★

وتعلقه بالخمر اذن هو مصدر مجونه ، ومستلهم شعره .
شرب الاقيشر يوما بالحيرة ، فى بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى ، وعندهم مغن مطرب ، فطرب الاقيشر ، فسقى أصحابه من شرابه ، فلما انتشوا توثب الاعمى فى اركان الغرفة ، وراح المقعد يرقص رقصة عرجاء
وراح الاقيشر يصف خمره الصافية وما صنعت بالقوم من المعجزات ، قال :

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا
وأعمى سقيناه ثلاثا فابصرا
شرابا كريح العنبر الورد ريحه
ومسحوق هندى من المسك أذفرا
من الفتيات الغر من أرض بابل
اذا شنها الحانى من الدن كبرا
لها من زجاج الشام عنق غريبة
تألق فيها صانع وتخيرا
ذخائر فرعون التى حببت له
وكل يسمى بالعتيق مشهرا
اذا ما رآها بعد انقاء غسلها
تدور علينا صائم القوم افطرا

وكان الاقيشر قنوعا فى طلب المـال ، لا يروم منه الا ما يسد شهوة الشراب عنده ، ولا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين في كراء بغل الى الحيرة ، ودرهمين للشراب ودرهما للطعام .

ويروى عنه انه أتى قيس بن محمـد بن الاشـعث الضرير ، وهو من سراة البصرة ، فسـأله العطـاء ، فأعطاه ثلثمائة درهم ، فقال الاقيشر لا أريدها جملة ، بل ثلاثة دراهم كل يوم حتى تنفد .

وكان له ما أراد ، فلما نفدت ، أمر له بثانية ، وعلى النهج نفسه

فلما أتاه يسأل الرابعة ، قال له قيس لا أبا لك ، كأنك قد جعلت هذا خراجا علينا !

فهجاه بقوله

ألم تر قيس الاكمه ابن محمـد
يقول ولا تلقـــــاه للخير يفعل
رأيتك أعمى العين والقلب ممسكا
وماخير أعمى العين والقلب يبخل
فلو صم تمت نعمـة الله كلهـا
عليه وما فيه من الشر افضل

***

على ان الطف ما نختتم به الحديث عن الاقيشر ، حكايته اذ أخرجه الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة ، الملقب بالقباع ، مع قومه لقتال أهل الشام . ولم تكن للاقيشر فرس ، فخرج على حمـــار ، حتى اذا بلغ الجيش قرية يقال لها قنين ، توارى عند خمارٌ نبطى يتجر ــ الى جانب الخمر ــ بجسد زوجتـه ، فبـاع الاقيشر الحمار ، وجعل يسكر بثمنه ــ وقيـل يفجر أيضا ــ الى أن قفل الجيش !



بشار بن برد

بنو امية هبوا ، طال نومكمـــو
ان الخليفـــة يعقـــوب بن داود
ضاعت خـــلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفـــة الله بين الناى والعـــود

ان في بردى جسمانا حلا
لو توكأت عليه لانهـــدم

لعلك اذا قرأت هذا البيت دون أن تعرف قائله ، تصورت ان قائله شاعر يذوب رقة حتى ليكاد يتهاوى من الشفافية والنحول .

والحقيقة ابعد ما تكون عن هذا الظن . فقائل هـذا البيت شاعر كفيف البصر ، قبيح الخلقة ، ضـــخم الجثة ، سليط اللسان ، عميق الفكر ، شـــعوبى النزعة ، كاره للناس ، حاقد على الدنيا ، حتى لا نكاد نجد فيه بقية تدل على انسانيته الا انه كان شـــاعرا يجعله النقاد القدامى سيد شعراء عصره .

ثم تجد فيه بعد هذا ولوعا بالنكتة اللاذعة الجارحة هذا هو بشار بن برد .

مر بشار برجل رفسته بغلة في بطنـــه فآلمتـــه حتى ســـقط على الارض من الالم ، وهو من ايمانه يقول : الحمد لله !

وسمعه بشـــار وعرف مابه ، فقال له استزده يزدك !

ومر به قوم في جنازة ، وهم يسرعون الخطى ، فقال

ساخرا مالهم مسرعين ؟ اتراهم سرقوه فهم يخافون ان يلحقوا فيؤخذ منهم ؟

وكان يوما بين يدى المهدى ينشده شعرا ، فدخل يزيد بن منصور الحميرى ، خال المهدى ، وكان ذا غفلة فلما انتهى بشار ، اقبل عليه يزيد يسأله من انت ، وما صناعتك ؟

فأجابه ساخرا أثقب اللؤلؤ !

ولم يستطع المهدى ان يكتم الضحك من النكتة ، وان ساءه أن يسخر بشار من خاله ، فلامه على هذا ، فقال لبشار : وماذا أقول له ؟ يرى رجلا أعمى ينشد شعرا بين يدى الخليفة ، فيسأله عن صناعته !

***

ويروى داود بن رزين هذه الرواية

اتينا بشارا ، فأذن لنا والمائدة بين يديه ، فلم يدعنا الى الطعام فلما أكل دعا بطست ، فكشف عن سوأته ، فبال ثم نودى لصلاة الظهر ، ثم صلاة العصر ، ثم المغرب فلم يصل . فدنونا منه وقلنا انت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكرناها

قال : وما هى ؟

قلنا دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا اليه ...

فقال انما اذنت لكم ان تأكلوا ، ولو لم أرد أن تأكلوا ما اذنت لكم بالدخول . ثم ماذا ؟

قلنا ودعوت بطست ونحن حضور ، فبلت ونحن نراك !

فقال انا مكفوف ، وأنتم بصراء ، فأنتم المأمورون بغض الابصار . ثم ماذا ؟

قلنا : وحضرنا صلاة الظهر ، ثم العصر ، ثم المغرب ، ولم تصل

فقال ان الذى يقبلها تفاريق ، يقبلها جملة !

***

وكان فارسى الارومة ، يعتز بنسبه ويفخر بقومه فى مجالسه ، وتبلغ به هذه النزعة الى حد انه كان يؤثر النار على الطين ، شـأن المجوس من قومه ، ويدين بالرجعة ، ويكفر الامة كلها بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى انه سئل مرة عن الامام على كرم الله وجهه ، فتمثل بقول عمرو بن كلثوم :

وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذى لا تصحبينا

فاذا كنت قد وجدت فى شعره انه قد مدح خلفاء بنى امية ، ثم خلفاء بنى العباس من بعدهم ، فلا نزولا عن شعوبيته ، ولا حبا فى العرب ، وانما كما مدح غيرهم من الاشراف والسراة ، ابتغاء رفدهم ، فان لم ينل منهم المال بالمديح ، نال بالتخويف بالهجاء ، ثم بالهجاء ، مما كان يحملهم على العطاء خشية المزيد.

***

كان بشار كثير المجون ، شديد التشبث باللذات ، يسرف فيها فى غير مراعاة لحرمة الدين او حرمة العمى. وكان من فرط افساده للنساء يثير جزع أهل البصرة ، فيبعثون اليه بالوعاظ ينهونه عما هو سادر فيه ، وهو سـادر لا يرتدع ، حتى ضاقوا به فشكوا أمره الى المهدى ، الذى عنفه وأنذره ، وفى هذا يقول بشار :

يا منظرا حسـنا رأيتـه
من وجه جارية ، فديته
بعثت الى تسـومنى
برد الشـباب وقد طويته
والله رب محمـد

ما ان غدرت ولا نويتـــه
أمســـــكت عنك ، وربما
عرض البـلاء وما ابتغيتـه
ان الخليفــــــــة قد ابى
واذا أبى شيئا أبيتــــــه
ومخضب رخص البنـــــا
ن بكى علي وما بكيتـــه
ويشـــــوقنى بيت الحبيـ
ـب اذا ادكرت ، وأين بيته ؟
قام الخليفــــــــة دونه
فصبـرت عنه وما قليتـه
ونهـــــانى الملك الهمـــا
م عن النســاء وما عصيته
لا ، بل وفيت فلم أضـع
عهـدا ولا رأيا رأيتـه

وقد تقف ـ وأنت تقرأ هذه الابيات ـ عند قسـمه بالله رب محمد ، وتتساءل أين اذن زندقته ؟

والجواب ، انه كان كاذبا فى قسمه ، كما كان كاذبا فى قوله انه استجاب لامر الخليفة ، وفى اظهار حبـه للخليفة ووصفه بأنه الملك الهمام .

كان ديدنه النفاق فى كل هذا . فقد كان بالبصرة ، على زمانه ، نفر من أهل الزندقة يجاهرون بها ، ولكنهم لاذوا بالفرار هربا من بطش الخليفة بهم أما بشار ، فكان يكتم زندقته ويتظاهر بالايمان نفاقا ونجاء بعنقه.

وليس أدل على كذبه فى مدح الخليفـة من اعترافه هو ، بعد أن مدح الخليفة بقصيدته التى مطلعها :

خليلى ان العسر سـوف يفيق

وان يســـــــارا فى غد لخليــق

فلم يجزه عليها وعيره النـاس قائلين له انما حرمك لانه لم يستحسن شعرك . فأجاب : لقد مدحته بشعر لو قيل فى الدهر لأمن الناس صروفه ، ولـكنه كذب أملى ، لانى كذبت فى القول !

***

ونعود الى بشار فى مجونه ، فنقع على قصيدة يتمثل فيها فحشه الى أبعد مداه ، فى اللفظ والمعنى والصورة بعد الثلث الاول من القصيدة ، مع اعترافنا بأنها من جميل الشعر ، الى حد اننا نضطر فى أحد أبيـاتها الى اهمال بعض الالفاظ مراعاة لادب القلم ، تاركين للقارىء ان يفطن اليها فى استطراده مع القافية

قـد لامنى فى خليـلتى عمـر
واللوم فى غير كنهه ضـــجر
قال : أفق قلت : لا ، قال بلى
قد شاع فى الناس منكما الخبر
قلت وإذ شاع ما اعتذارك ما
ليس لى فيــه عنـدهم عـذر
ماذا عليهم ، ومالهم خرسـوا
لو أنهم فى عيـــوبهم نظروا
أعشــق وحـدى ، ويؤخذون به
كالترك تغـزو ، فتؤخـذ الخزر
يا عجبـا للخـلاف يا عجبـا
بفى الذى لام فى الهـوى الحجـر
حسبى وحسب الذى كلفت به
منى ومنه الحديث والنـــظر
أو قبلة فى خلال ذاك ، وما
بأس اذا . . . . !

او عضــة فى ذراعها ، ولهــا
فوق ذراعى من عضـــها أثر
او لمســة دون مرطهــا بيـدى
والبــاب قد حال دونه الستر
والســـــاق براقة مخلخلهــا
أو مص ريق ، وقد علا البهر
واســترخت الـكف للعراك وقا
لت ايه عنى ، والدمع منحـدر
انهض ، فما أنت كالذى زعموا
انت وربى مفــــازل أشر
قــد غابت اليوم عنـك حاضنتى
والله لى منك فيك ينتصـــر

يارب خذ لى ، فقد ترى ضرعى
من فاســق جــاء مابه ســكر
اهوى الى [illegible] كفرضضــه
ذو قوة ما يطـــاق مقتــدر
ألصــق بى لحيــة له خشنت
ذات ســـــــواد كأنها الابر
اقســــــم بالله لا نجوت بها
فاذهب فأنت المســـاور الظفر
كيف بأمى اذا رات شـــفتى

ام كيف ان شاع منك ذا الخبر
قد كنت أخشى الذى ابتليت به
منك ، فمـــاذا أقول يا عبــر
قلت لها عنـد ذاك : يا سكنى
لا بأس ، انى مجرب خبـــر
قولى لهــا : بقـة لهــا ظـفر
ان كان فى البق ما له ظـــفر

وصاحب الذوق من قراء الشعر يصطدم بالبيت الاخير ، فيتأذى منه ، ويعجب كيف هبط بشار ، بعد تلك الصورة الحسية المستملحة عند أهل المجون، وبعد ذلك الحوار الطريف بينه وبين فتاته ، الى مستوى « البق » وكان اخلق به أن يلتمس عذرا اقرب الى الذوق واللطف

ولكن هذا هو بشار فى عثراته الذوقية التى نجد منها أكثر من شاهد . ومن ذلك قوله فى الغزل بسليمى :

انما عظم سليمى قصب
قصب السكر لا عظم الجمل
فاذا أدنيت منها بصلا
غلب المسك على ريح البصل

ومع هذا ، فبشار هو صاحب هذه الابيات الاثيرة التى يرددها كل عاشق منذ عصر بشار الى اليوم ، وكثيرا ما تغنى بها اهل الغناء القدامى والمحدثون :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم
ونفى عنى الكرى طيف الم
رفهى يا « عبد » عنى واعلمى
اننى يا « عبد » من لحم ودم
ان فى بردى جسمانا حلا
لو توكأت عليه لانهدم
واذا قلت لها جودى لنا
خرجت بالصمت عن لا ونعم

واما « عبد » هذه التى يذكرها فى القصيدة ، فهى عبدة ، التى خصها بشار ـ على فجوره ـ باكثر غزلياته ، وكانت ـ على ما يجمع عليه الرواة ـ تميل اليه وتحب شعره وتمده بالالهام وتخصه بود كبير ،

بان كان أستاذنا الدكتور طه حسين ـ وهو يعترف بشدة كراهيته لخلق بشار وفرط نفوره من شخصيته ـ ينكر أن رجلا كبشار يستطيع ان يحب عبدة او غير عبدة ، وانه فى صلته بها منافق ، كما هو منافق فى جميع صلاته بالحياة ، وان عبدة هى الاخرى لم تكن تحبه ، وان كانت تأنس اليه

ومع اعترافنا بأن بشارا كان فاجرا متهتكا عربيدا ، فاننا لا نستبعد أن يكون قد أحب عبدة بالفعل ، فهى فى حياته كبوة الجواد ، أحبها اذ سمعها لاول مرة وهى فى مجلسه ، ومعها غيرها من النساء ، فوقع صوتها وحديثها فى قلبه ، فدعا غلامه فقال انى قد علقت امراة ، فاذا تكلمت فانظر من هى واعرفها .. فاذا انفض المجلس وانصرف أهله ، فاتبعها وكلمها واعلمها انى لها محب ، وانشدها هذه الابيات ، وعرفها أنى قلتها فيها :

قالوا : بمن لا ترى تهذى ، فقلت لهم
الاذن كالعين توفى القلب ما كانا
هل من دواء لمشفوف بجارية
يلقى بلقيانها روحا وريحانا
يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة
والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وفض المجلس ...

وسار اليها الغلام فأبلغها الابيات ، فهشت لها ، وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها ، فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ولا تطمعه فى نفسها .

ولا شك ان عبدة كانت تعلم ما عنده من مجون ، ولكنها كانت تفد عليه محبة لشعره ، ولا سيما شعره فيها ، وحسبه ...

أماهو، فلعله أحب هذه المرة لغيرالمجون، ولهذا يقول:

يا عبد حبي لك مستور
وكل حب غيره زور
ان كان هجري سركم فاهجروا
اني بما سرك مسرور

ولعله صدق في شيء لاول مرة ، فقال في عبدة اكثر غزلياته وأجودها وأحفلها بحرارة الصدق ، كهذه الابيات التي بكى الوليد بن يزيد عند سماعها حتى امتزجت دموعه بدمه في الكأس

ايها الساقيان صبا شرابي
واسقياني من ريق بيضاء رود
ان دائي الظمأ ، وان دوائي
شربة من رضاب ثغر برود
ولها مضحك كغر الاقاحي
وحديث كالوشي وشي البرود
نزلت في السواد من حبة القلـ
ـب ، ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت : نلقاك بعد ليال
والليالي يبلين كل جديد
عندها الصبر عن لقائي ، وعندي
زفرات يأكلن قلب الحديد

***

ومن الانصاف لبشار قبل أن نفرغ من الحديث عنه ، انه لم يكن شاعرا ماجنا وحسب ، وانما له الكثير من الشعر الجاد ، الذي يرتفع به الى مكانة سامقة بين شعراء عصره ، ولا سيما شعره السياسي. وكان بشار يزعم انه أشعر الناس ، ويقول ان لي اثني عشر ألف قصيدة ، فويلي اذا لم يكن في كل

قصيدة منها بيت جيد !

أما كيف انتهت حياة بشار ، فقصة ذلك انه حمل فى قلبه الحفيظة على الخليفة المهدى حين انشده شعرا فلم يصله ، فى حين وصل غيره من الشعراء ، على ما روينا من قبل .

وبينما هو ذات يوم فى مجلس يونس بن حبيب النحوى ، تحركت الحفيظة فى قلبه ، فأراد ان يقول شعرا قبيحا ، فتساءل ، حتى يأخذ الحيطة ، ان كان فى المجلس من يسمع فيشى به عند الخليفة فقيل له لا ، فتطاول على الخليفة ببيتين قبيحين ، ذم فيهما المهدى ، ودعا على ولى عهده ، موسى الهادى ، دعوة فاجرة فيها تعريض بالخيزران ، زوجة المهدى . قال :

خليفة يزنى بعماته
يلعب بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره
ودس موسى فى .. الخيزران (١)

ثم عرج على يعقوب بن داود ، وزير المهدى ، فقال يدعو بنى أمية الى الانتفاض ، ويتهم يعقوب بأنه هو الخليفة الفعلى

بنى أمية هبوا طال نومكمو
ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الناى والعود

وكان بشار مكروها من أهل البصرة ، علمائها وعامتها ، فسار يونس وأصحابه بالابيات الاربعة الى المهدى ويعقوب ، فثارت ثائرة المهدى ، وأمر بأن يجلد بشار سبعين جلدة بالسوط . وكان كلما أوجعه السوط

---

(١) الكلمة المنقوطة ، سواة المرأة

صاح « حسس » وهذه كلمة تدل على شدة الالم ، فقال بعض الحاضرين

انظروا اليه لا يقول بسم الله فقال بشار وهو يتأوه : ويحكم ، أهو ثريد حتى اسمى عليه ؟

***

حمل الى بيته بعد الجلد فى حال سيئة ... وسمع الناس بما وقع له ، فساروا اليه بالهدايا والعطايا ، لا حبا فيه ، ولا عطفا عليه ، ولكن استجلابا لمودته واشفاقا من لسانه بعد أن يفيق من غشيته .

على انه لم يفق ، وما لبث أن مات من أثر الضرب.

وهنا تجلت كراهية الناس له ، حتى قيل ان احدا من أهل البصرة لم يخرج الى جنازته ، الا جارية عجماء من السند كانت له ، سارت وراء نعشه تولول وا سيداه وا سيداه !



جحظة البرمكى

ولى صاحب زرته للسـلام
تقابلنى بالحجـاب الصراح
وقـالوا : تغيب عن داره
لخوف غـريم ملح وقـاح
ولو كان عن داره غائبـا
لادخلنى أهـله للنـكاح

هو من البرامكة ، واسـمه أبو الحسن أحمـد ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك .

سمى بجحظة ، لجحوظ عينيه

وكان قبيح المنظر ، قذرا ، دنىء النفس ، قليـل الدين ، كريه الرائحة من كثرة الفساء ومع هـذا كان حسن الادب ، كثير الرواية للأخبار ، متصرفا فى فنون من العلم ، كالنحو واللغة والنجوم ، مليح الشعر ، حاضر النادرة .

وكان حسن الغناء والعزف على الطنبور ، حتى كان المعتمد يسميه « خنياكر » ... وهى كلمـة فارسـية معناها : المغنى .

ولد جحظة سنة ٢٢٤ ، ومات سنة ٣٢٤ هـ ، أى انه عمر مائة سنة .

وله كتب عدة ، فى مختلف الفنون ، منهـا كتاب « الطبيخ » ... وكتاب « السكياج » وهو لون من المرق يطهى باللحم والخل ... وكتاب « المشاهدات » وكتاب عن التنجيم ، وكتاب عن الطنبور وعزفه وعازفيه

وله بعد ذلك ديوان شعر طريف فى مختلف الاغراض، فمن أرق شعره فى الغزل :

اذا ما ظمئت الى ريقـــه
جعـلت المـدامة منه بديلا
واين المـدامة من ريقـه ؟
ولـكن أعلـل قلبـا غليـلا

ومنه :

أقول لها والصبح قد لاح ضوؤه
كما لاح ضوء البـارق المتـألق
شبيهك قد وافى ولاح افتراقنـا
فهل لك فى صوت وكأس مروق ؟ (١)
فقالت شفائى فى الذى قد ذكرته
وان كنت قد نغصتـه بالتفرق

ومن قوله فى الهجاء ، ما قاله فى صاحب له ، يصاحبه طمعا فى أدبه وظرفه وغنائه ، ولا يصله بشىء :

لى صديق مغرى بقربى وشدوى
وله عند ذاك وجه صـــفيق
قوله ـ انشدوت ـ «أحسنت، زدنى»
وبأحسنت . . . لا يبـاع الدقيق

وله أيضا فى هجاء صاحب له أخفى عنه نفسه

ولى صــاحب زرته للسـلام
فقـــابلنى بالحجـاب الصـراح
وقالوا : تغيـــب عن داره
لخـــوف غريم ملح وقـــاح
ولو كان عن داره غائبـــا
لأدخـــلنى أهـــله للنكاح

وله فى الشكوى مما أصابه من الخمر

(١) الصوت ، الغناء ـ والمروق الصافى

قد قلـل الادمان أكلى ، فمـا
اطعم زادا قيس ابهـــام (١)
فالحمـــد لله وشـــكرا له
قد صـرت من بائد أقـوام
قوم ترى أولادهم بينـــــهم
للجـوع فى حلبـــة ايتــام (٢)

وله فى شـكوى الزمن ، مما يقترن بالفخر ، وقـد طعن فى السن :

أرى الايام تضـــمن لى بخير
ولـكن بعــــد ايام طوال
فمن ذا ضــامن الدوام عمرى
الى دهر يغير ســـوء حالى
هى التسعون قد عطفت قناتى
ونفرت الفوانى عن وصـــالى
وفيهـا لو عرفت الحق شـغل
عن الامر الذى أضحى اشتغالى
كانى بالنـــــــوادب قائلات
وجسمى فوق أعنـــاق الرجال
الا سـقيا لجسـمك كيف يبلى
وذكرك فى المجالس غـــير بال

ومن القصيـدة التالية نستشف ما صـار اليه من سوء الحال فى كبره حتى انه كان يبيـع كتبه ليكرم ضيفه :

الحمـــد لله ليس لى كاتب
ولا على باب منـــزلى حاجب
ولا حمـــار اذا عزمت على

---

(١) قيس : قدر
(٢) حلبة : هيئة

ركوبه قيل جحظة راكب
ولا قميص يكون لى بدلا
مخافة من قميصى الذاهب
وأجرة البيت فهى مقرحة
اجفان عينى بالوابل الساكب
ان زارنى صاحب عزمت على
بيع كتاب لشبعة الصاحب
أصبحت فى معشر تشمتهم
فرض من الله لازب واجب

ويروى عنه الرواة انه كان خسيف الدين ، لا يصلى، ولا يصوم رمضان وقد كان صباح نهار عند بعض الوجهاء ، فلما انتصف النهار ، قام جحظة فسرق رغيفا ، ودخل المستراح ، وجلس على المقعدة .

ودخل عليه مضيفه من غير قصد ، فرأى الخبز بين يديه ، فقال له : ويحك ، ما هذا يا أبا الحسن فى رمضان ؟ ..

فزعم جحظة انه أخذ الرغيف ليقطعه للخنافس التى تملأ المستراح حتى يرحمها من الجوع ! ..

وكان من سخطه على حياته ، بعد ما انخفض عيشه ، يلعن كل ما فى الحياة ومن فى الحياة ، حتى أبويه ، قائلا :

ما أنصفتنى يد الزمان ولا
ادركنى غير حرفة الادب
لا حفظ الله حيثما سلكت
أمى ، وأ ... الحمار فى است أبى (١)
ما تركا درهما أصون به
وجهى يوما عن ذلة الطلب

(١) الكلمة المنقوطة تبيحة

ومن البيت الاخير نرى انه كان يتدنى وهو كاره ، ويشعر ان الفقر مسئول عما يهدر من ماء وجهه ، وما ينزل به عن المكانة التى هو أهل لها عند الناس .

وانك لترى هذه المرارة فى حادث وقع له اذ هو فى حضرة عبد الله بن المعتز ، اذ اعتدى أحمد بن أبى العلاء على جحظة بسباب جارح ، فأمر ابن المعتز جحظة ان يخرج من المجلس حتى يهدأ احمد

وخرج مطأطىء الرأس ، كاسف البال ، مهدور الكرامة ، فلم ينم الى أن كتب الى ابن المعتز يقول :

اليس من العجائب ان مثلى
يقام لأحمد بن أبى العلاء
ولى نفس أبت الا ارتفاعا
فأضحت كالسماء على السماء
لقد غضب الزمان على أناس
فأبلاهم بأولاد الزناء

وعلى هذا الحال مات جحظة فى المائة ، لا هو راض عن الدنيا ، ولا الدنيا راضية عنه ، وفى هذا يقول :

يطول على الليل حتى أمله
فأجلس والنوام فى غفلة عنى
فلا انا بالراضى من الدهر فعله
ولا الدهر يرضى بالذى ناله منى



الحسين الخليع

فمازلت ابسطه مازحا
وافرط فى اللهو حتى ابتسم
وحكمنى الريم فى نفسه
بشىء ولكنه مكتتم

هو الحسين بن الضحاك ، ولقب بالاشقر ، كما لقب بالخليع لخلاعته . ولد سنة ١٦٢ ، ومات سنة ٢٥٠ هـ

وقد نشأ — كما نشأ أكثر أهل المجون — فى ظل الدولة العباسية ، وكان على شاكلتهم فى أكثر ماكانوا ، فارسى الاصل ، وان كان بصرى المولد والنشأة .
كان — كما يصفه أبو الفرج — شاعرا أديبا ظريفا مطبوعا حسن التصرف فى الشعر ، حلو المذهب ، لشعره قبول ورونق صاف

وكان أبو نواس يفعل به ما يفعله مع غيره من شعراء عصره ... يسطو على معانيهم ، ويحسن صياغتها حتى يحفظها الناس بشعره ، وينكروها على أصحابها الاصلاء .
واننا لنجد من شعر الخليع أصداء ، لا فى شعر ابى نواس وحده ، ولا فى شعر معاصريه وحسب ، بل ان هذا السطو ليمتد حتى يصل الى عصرنا هذا ...
انظر الى هذين البيتين من خمرياته :
اذا ما الماء أمكننى
وصفو سلافة العنب

صببت الفضـة البيـ
ضاء فوق قراضة الذهب

الا يذكرانك ببيت شوقى ، وان كان بيت شـوقى اوفر فى رشاقته :

حف كأسـها الحبيب
فهى فضـة ذهب !

***

كان الخليـع ماجنـا ، وكان اكثر مجونه فى الهيام بالخمر والغلمان ، ولـكنه فى الحق لم يتعرض للدين كما تعرض له غيره من أهل المجون ، وأن لم يحرص عليه حرص المتقين .

على انه تميز بالوفاء لولى نعمته ، الخليفة الامين ، مما أغضب عليه المأمون عنـدما ولى الحكم ، اذ ذكر فرط مدحه للأمين ورثائه له فى أكثر من قصيدة تجاوز فيها الشاعر حدود البكاء على الامين الى ذم المأمون ، كقوله

هلا بقيت لسـد فاقتنـا
أبدا ، وكان لغـيرك التلف
فلقـد خلفت خلائفـا سـلفوا
ولسـوف يعوز بعدك الخلف

وكقوله

أطـل حـزنا وابك الامام محمدا
بحزن وان خفت الحسام المهندا
فلا تمت الاشـياء بعـد محمد
ولا زال شمل الملك منها مبددا
ولا فرح المـأمون بالملك بعـده
ولا زال فى الدنيا طريدا مشردا

وقد بلغ من جزعه على الامين انه خولط فى عقله بعد

قتله ، فكان لا يصــدق انه قتل ، ويقول انه مستتر وانه سيعود يوما ما ويقول فى ذلك :

ســـألونا ان كيف نحن فقلنـــا
من هوى نجمــه فــكيف يكون
نحن قوم أصـــابنا حدث الد
هر ، فظلنـــا لريبــه نستكين
نتمنى من الامــــين ايابا
لهف نفسى وأين منى الامين !

وقد بلغ المأمون بعض ذلك الشعر ، فظل قلبه مغلقا دون الخليع ، وان كان الخليع قد حاول أن يسترضيه بعد ذلك ، فلم يصب كثيرا من التوفيق .

على ان الخليع قد عمر طويلا ، حتى مات المامون ، وأدرك خلافة المعتصم والواثق والمتوكل ، وناله منهم خير كثير ، وان كان قد أدركه منهم كذلك وصب كثير .

ومما يؤثر عنه فى أواخر أيامه انه قال

ضربنى الرشيد فى خلافته لصحبتى ولده (وكان متهتــكا) ثم ضربنى الامين لممايلة ابنـــه عبد الله ، ثم ضربنى المأمون لميلى الى محمد (يعنى الهادى) ثم ضربنى المعتصم لمودة كانت بينى وبين العباس بن المأمون ، ثم ضربنى الواثق لشىء بلغه من ذهابى الى المتوكل ، وكل ذلك يجرى مجرى الولع بى والتحذير لى . ثم أحضرنى المتوكل وامر شفيعا (غلامه) بالولع بى ، فتغــاضب المتوكل على ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان كنت تريد ان تضربنى كما ضربنى آباؤك ، فاعلم ان آخر ضرب ضربته بسببك فضـحك المتوكل وقال : بل أحسن اليك يا حسين واصونك وأكرمك

ولمــا تجاوز الخليع الثمانين ، تقــاعد عن مجونه ، ورجع الى الله ، ومن قوله فى ذلك :

اصبحت من اسراء الله محتبسا
فى الارض نحو قضاء الله والقدر
ان الثمانين اذ وفيت عدتها
لم تبق باقية منى ولم - تذر

وذكر النساء فى شعر الخليع قليل ، اذ كان اكثر شعره فى الغلمان ، ولا سيما غلام يقال له « يسر » .

ومن قليلات النساء فى حياته ، مغنية اسمها «فتن» كان يستملحها ويحب صوتها ، ولكنها كانت تجىء اليه دائما فى حراسة خادم اسمه « نجح » يحفظها ولا ينيل الخليع منها شيئا ...

ومرض هذا الخادم يوما ، فجاءت فتن مع خادم غيره ، لين العريكة ، فظفر الخليع ببغيته من فتن ، وقال فى ذلك قصيدة موفورة السحر ... قال :

لا تلمنى على « فتن »
انها كاسمها فتن
فاذا لم اهم بها
فلمن ؟ .. لا بمن اذن
اين ، لا اين ، مثلها
فى جميع الورى سكن
طيب نشر اذا لثـ
ـمت وغنج ومحتضن
وال عشرا من الصبو
ح على وجهها الحسن
وعلى لفظها المنـ
ـون للأم بالفنن
لست انسى من الفر
يرة اذ بحت بالشجن
قولها اذ سلبتها

عن كئيب وعن عــكن
ليس يرضيك يا فتى
من هوى دون أن تهن
فامتزجنــا معــا ممــا
زجــة الروح للبــــدن
وكفينــــا من أن نرا
قب « نجحا » اذا فطن
وأمنــــــــاه أن ينم
وما كان مؤتمـــــــن
كل ما كان من حبيــ
ــبك مستظرف حسن

***

ومن أيامه المشهورة فى تاريخ مجونه ، يومه اذ نزل على الحسن بن سهل ، ومد الشراب ، فظلا يشربان ؛ وساقيهما غلام مليح لم تهبط عنه عينا الخليع

فلما أدرك الحسن ذلك ، أومأ الى الغــلام فاختفى ساعة ثم عاد ، فسأل الخليع فى شوق أين كان ؟.. قال سرا كنت فى الحمام ، والحسن هو الذى حبسنى عنك فقال الخليع لفوره

وا بأبى ابيض فى صــفرة
كأنه تبر على فضــــــه
جرده الحمـــــام عن درة
تلوح فيهــــــا عكن بضه
غصن تبـــــدى يتثنى على
مأكمة مثقــلة النهضــه (١)
كأنما الريش على خــــده
طل على تفــــاحة غضه
صــفاته فاتنــــة كلهـــا

---

(١) المأكمة العجيزة

فبعضـــه يذكرنى بعضـــه
يا ليتـــه زودنى قبـــلة
أو لا فمن وجنتـــه عضه

فقال له الحسن قد عمل فيك النبيذ ؟

قال الخليع لا وحياتك !

قال هذا شر من ذلك !

ومضى الخليع يرتجل قصيــــدة اخرى ويوغل فى التشبيب والاغراء ، فتغاضب الغلام عن دل، وانصرف، ثم عاد بعد قليـــل ، وناوله قدحـــا وقال له اشرب ودع الهذيان .

وقام الحسن لبعض شأنه واقبـــل الغـــلام على الخليع فأعطاه بعض النقل ، فقال الخليع اجعل بدله قبلة فجعل الغلام يؤمله ولا يعطيه ، ويقترب منه وينسحب ، الى أن كانت لحظة سانحة اختطف فيهـــا الحسين قبلة ، فتغاضب الغلام وقال هـــذه حرام عليك هذا فى حين كان خادم آخر يقال له فرج يهون عليه الامر قال الخليع

وبديع الدل قصـــرى الغنج
مره العـــين كحيـــل بالدعج (١)
سمته شيئا وأصفيت له
بعد ما صرف كأسا ومزج
واســـــــتخفته على نشوته
نبـــرات من خفيف وهـــزج
فتـــأبى وتثنى خجـــلا
وذرا الدمع فنـــونا ونشج
لج فى «لولا» وفى «سوف ترى»
وكذا كفكف عنى وخلج (٢)

---

(١)مره خلا من الكحل (٢) كفكف اعرض

ذهب الليـــل وما نولنى
دون ان اســفر صــبح وانبلج
هون الامر عليـــــه فرج
بتأنيه ، فســـــقيا لفرج
خمــر النكهة لا من قهوة
ارج الاصــداغ بالمسك ارج
وبنفسى نفس من قال ، وقد
كان ما كان حرام وحرج

فلما نام القوم ، وطلع الصبح ، قال الحسن لضيفه كيف كانت ليلتك ؟

قال الخليع :

تألفت طيــف غزال الحرم
فواصلنى بعــد ما قد صرم
وما زلت أقنع من نيــله
بما تجتنيه بنـــان الحلم
بنفسى خيــال على رقبــة
ألم به الشوق فيما زعم
أتانى يجاذب أردافــــــه
من البهر تحت كسوف الظلم
تمج ســـوالفه مســكة
وعنبرة ريقه والنســــم
تضمخ من بعـــد تجميره
فطاب من القرن حتى القدم (١)
يقول ونازعتـــــه ثوبه
على أن يقــول لشيء نعم
فغض الجفــون على نجله
وأعرض اعراضــة المحتشم

(١) التجمير التبخير

فشـــبكت كفى على كفه
واصـــفيت الثم درا بفم
فنهنهنى ، دفع لا مؤيس
بجد ولا مطمـع معتـزم
اذا ما همست فأدنيتـــه
تثنى وقال لى الويل ، لم ؟
فما زلت ابسـطه مازحـا
وافرط فى اللهو حتى ابتسم
وحكمنى الريم فى نفســه
بشىء ولـكنه مكتتـــم
فواها لذلك من طـــارق
على ان ما كان ابقى سقم

فقال الحسن : يا فاسق ، أظن ما ادعيته على الطيف فى النوم كان فى اليقظة مع الشخص نفســه ، واصـلح الاشياء لنا بعد ما جرى ان ندحض العار عن انفسنـا بهبة الغلام لك ، فخذه ، لا بورك لك فيه !

فاخذه الخليع وانصرف .

***

اما حكاياته مع غلامه الاثير « يسر » الذى قال فيه اجمل شعره ، فكثيرة ويسر هـــذا ، خادم لابن هارون الرشيد ...

منها انه التقى بيسر عنـد بعض أصحابهما ذات يوم على مائدة شراب ، وكان هـذا فى العشر الاواخر من شعبان ، فقال حسين ليسر : ياسيدى ، قد هجم الصوم علينا فتفضل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه

فوعده بذلك ، واقسم على الوفاء .

وفى اليوم التالى كتب اليه يساله الوفاء بقسمه ، فانكره ، فقال الخليع :

تجاسرت على الغـــدر
كعـاداتك فى الهجـــر
فاخلفت وما استخلفـ
ـت من اخوانك الزهر
وما اقنعنى فعـــــــ
ـلك يا مختلق العذر
بنفسى أنت ان سؤت
فلا بد من الصبـــر
ولولا فرقى منــــك
لسـميتك فى الشـعر
اما تخرج من اخـــــ
ـلاف ميعادك فى العشر
غـدا يفطمنـا الصـوم
عن الراح الى الفطـر

قال الخليع : فلما قرأ الابيات أجاب احسن جواب وفعل أجمل فعل ، وكان اجتماعنا قبل الصـوم فى بسـتان مولاه ، وتممنا سرورنا وقضينـا أوطارنا الى الليل

***

وقد حسنت سيرة الخليع لما بلغ به الكبر عتيا ، حتى لقد بعث اليه المتوكل لـكى ينادمه ويلازمه ، فلم يطق ذلك ، فقال الوشاة للمتوكل انه يطيق الذهاب الى القرى والمواخير ، ويأبى أن يكون فى خدمة أميرالمؤمنين.

فلما عرف الخليـع ذلك ، بعث الى المتوكل بهـذه الابيات يعتذر بها ، اذ أوشك أن يبلغ التسعين ، فلا قبل له بمنادمة ولا بشراب

اما فى ثمانين وفيتهـــــا
عذير وان أنا لم أعتـــذر

فكيف وقد جزتها صاعدا
مع الصاعدين بتسع اخر
وقد رفع الله اقلامه
عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصر على فتنة
والحد فى دينه أو كفر
وانى لمن اسراء الاله
فى الارض نصب صروف القدر
فان يقض لى عملا صالحا
أثاب ، وأن يقض شرا ، غفر
فلا تلح فى كبر هدنى
فلا ذنب لى ان بلغت الكبر
هو الشيب حل بعقب الشباب
فأعقبنى خورا من أشر
وقد بسط الله لى عذره
فمن ذا يلوم اذا ما عذر
وانى لفى كنف مغدق
وعز بنصر أبى المنتصر
يبارى الرياح بفضل السما
ح حتى تبلد أو تنحسر
له أكد الوحى ميراثه
ومن ذا يخالف وحى السور
وما للحسود واشياعه
ومن كذب الحق الا الحجر ؟

وقرا المتوكل الابيات ، فقر بها ، وارسل اليه عشرين الف درهم



حماد عجرد

لك جار بالمصر لم يجعـــل الله
له منك حـــرمة الجيـــران
انما معدن الزناة من السفــــ
ـلة فى بيته ومـــاوى الزوانى

هو شـــاعر مجيـد من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية ، وان كان قد اشتهر فى الثانية

نادم الوليد بن يزيد الاموى ، ثم جاء الى بغداد فى أيام المهدى .

قال على بن الجعد قدم علينا فى أيام المهدى هؤلاء حمـاد عجرد ، ومطيع بن اياس ، ويحيى بن زياد ، فنزلوا بالقرب منا ، فكانوا لا يطاقون خبثا ومجانة

وقال الجرجانى كان بالـكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون : حماد عجرد ، وحمـاد الراوية ، وحمـاد ابن الزبرقان يتنادمون على الشراب ، ويتناشـدون الاشعار ، ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا وكأنهم نفس واحدة ، يرمون جميعـا بالزندقة ، وأشـهرهم حماد عجرد .

***

كان حماد عجرد من هؤلاء الزنادقة الذين شـجعهم انحلال الخليفة الاموى ، الوليد بن يزيد ، على المجاهرة بالمعصية ، والاسراف فى طلب اللذة بغير حرج فى الكوفة والبصرة وغيرهما .

وكانوا يجتمعون فى بيوتهم ، أو فى الحـــدائق او الحانات أو الاديرة ، ولا يجتمعون الا على شراب وغناء وعبث بالنساء والغلمان .

وكانت بين حماد وبشار بن برد مهاجاة متصلة ، وكانا ندين فى النزوع الى الشر وفى سلاطة اللسان ، فكان كل منهما يغرى بالآخر عند ذوى السلطان ، ويرميه بالزندقة دون أن يكون هو نفسه بريئا منها .

وتهاجيهما يصلح لان يكون كتابا بذاته ، ولكننا نجتزىء منه بما يلقى ضوءا على هذه المعركة التى تعد من أسوأ المعارك فى تاريخ الادب .

قال حماد ، يغرى الامير عيسى بن عمرو ببشار

قل لعيسى الامير عيسى بن عمرو
ذى المساعى العظام فى قحطان
والبناء العالى الذى طال حتى
قصرت دونه يدا كل بان
بابن عمرو ، عمرو المكارم والتقـ
ـوى وعمرو الندى وعمرو الطعان
لك جار بالمصر لم يجعل الله
له منك حرمة الجيران
لا يصلى ولا يصوم ولا يقـ
ـرا حرفا من محكم القرآن
انما معدن الزناة من السفـ
ـلة فى بيته ومأوى الزوانى
وهو خدن الصبيان وهو ابن سبـ
ـعين فماذا يهوى من الصبيان
طهر المصر منه يا ايها المو
لى المسمى بالعدل والاحسان
وتقرب بذاك فيه الى الله
تفز منه فوز أهل الجنان

ثم يوجه الخطاب لبشار بن برد فيقول :

يابن برد ، اخسأ اليك فمثل الـ
ـكلب فى الناس انت لا الانسان
ولعمري لأنت شر من الـكلـ
ـب واولى منـه بكل هوان

واراد بشار ان يرد الصفعة بمثلها ، فأشاع انحمادا كان ينشد يوما شعرا ، والى جانبه قارىء يتلو القرآن، والناس مجتمعون حول القارىء فصاح حماد فى الناس علام تجتمعون ؟ ان الذى أنشده لخير مما ينشده !

ثم نظم ـ اى بشار ـ هذه الابيات يهجوه ويرميه بالشرك :

ابن نهبى ، راس على ثقيل
واحتمال الرءوس خطب جليل
ادع غيرى الى عبادة الاثنين
فانى بواحـد مشغول
يابن نهبى ، برئت منك الى الله
جهارا ، وذاك منى قليل

فلما شاعت الابيات ، أمعن حماد فى اشاعتها بعد أن عدل عبارة « فانى بواحد مشغول » فجعلها « فانى عن واحد مشغول » مما يثبت عليه الزندقة فلما سمع بشار ذلك ارتعد وجزع ، لانه ـ برغم زندقته ـ كان يستسرها ويخشى أن يعرفها ولاة الامور

وقد عرفت عنه فى النهاية ، وقتل بامر المهدى

ومن مقذع هجائه فى بشار ، قوله :

واعمى يشـبه القرد
اذا ما عمى القـرد

وقال الرواة ان بشارا بكى حينما سمع هذا البيت ، فقيل له : لم تبكى ؟ فقـال : يرانى فيصفنى ، وانا لا اراه حتى اصفه .

ولم يقصر حماد هجاءه على بشار وحده ، بل تجاوزه الى الـكثيرين ، ومنهم مطيع بن اياس ، وابو حنيفة ، ويحيى بن زياد ، وغيرهم . وكانوا جميعـا يخشون لسانه ويترضـونه . ولم يكن يرعى فى ذلك حرمة صداقة قديمة ، فقد كان صديقا لمطيع ويحيى ابن زياد ، وكثيرا ما مدحهما ونال منهما خيرا ، ولـكنه لم يتورع عن شتمهما فيما بعد

وقال حماد ، يهجو بكر بن محمد المازنى النحوى ، وهذه افبح أهاجيـه ، لانها قيلت فى رجـل من ائمة اللغة ، تتلمـذ عليه المبرد ، وقال عنه انه كان بعـد سيبويه أعلم الناس بالنحو

كادنى المـازنى عنـد ابى العبـا
س ، والفضـل ما علمت كريم
يا شـبيه النسـاء فى كل فن
أن كيـد النسـاء كيـد عظيـم
جمـع المـازنى خمـس خصـال
ليس يقوى بحملهن حليـم (١)
هو بالشـعر والعروض وبالنحـ
ـو وغمـز . طب عليم (٢)
ليس ذنبى اليـك يا بكر الا
أن . عليـك ليس يقـوم (٣)
وكفانى ما قال يوسـف فى ذا
ان ربى بكيـدهن عليـم ! ..

***

وله ــ الى جانب أهاجيه ــ شعر جميل ، فله فى المدح

(١) قال خمس خصال ولم يذكر الخامسة فى القصيدة
(٢) الكلمة المنقوطة قبيحة ، وهى جمع
(٣) هى نفس الكلمة القبيحة ، بالمفرد

هذا القول السائغ :

أرجوك بعد أبى العباس اذ بانا
يا أكرم الناس اعراقا وعيدانا
فأنت أكرم من يمشى على قدم
وأنضر النـاس عند المحل اغصانا
لو مج عود على قوم عصارته
لمج عودك فينا المسك والبانا

وله فى العتاب

فأقسمت لو اصبحت فى قبضة الهوى
لأقصرت عن لومى وأطنبت فى عذرى
ولـكن بلائى منك أنك ناصح
وانك لا تـدرى بأنك لا تـدرى

وله فى الغزل

انى احبـك فاعلمى
ان لم تكونى تعلمينا
حبـا أقل قليله
كجميع حب العالمينا

***

اما نهايته ، فاختلف فيها الرواة ، فقيل ان مولى من موالى محمد بن سليمان قتله ، لانه كان يكتب الغزل فى أخته زينب ، لا لحسابه ، بل لحساب محمد ابن ابى العباس السفاح ، الذى كان يحب زينب ، ولا يحسن الشعر ، فأراد أن يستميلها بشعر حماد ، وكان ينسبه الى نفسه .

وفى رواية أخرى انه اصابته علة طالت عليه ، وأشيع انه مات ، ووصل نعيه لبشار ، فقال

لو عاش حماد لهونا به
لـكنه صار الى النار !

فلما سمع حماد هذا البيت ، قال :

نبئت بشاراً نعاني وللشعر
براني الخالق الباري
يا ليتني مت ولم أهجه
نعم ولو صرت الى النار
وأي خزي هو أخزى من أن
يقال لي يا ساب بشار

***

ثم مات حماد ، سنة ١٦١ هـ بالبصرة وقتل بعده بشار ، ودفنا في مكان واحد ، ومر على هذا المكان شاعر بصري يقال له أبو هشام الباهلي ، فقال

قد تبع الاعمى قفا عجرد
فاصبحا جارين في دار
قالت بقاع الارض لا مرحبا
بقرب حماد وبشار
تجاورا بعد تجافيهما
ما ابغض الجار الى الجار
صارا جميعا في يدي مالك
في النار ، والكافر في النار



الزوزني البحّاث

ليت شـــعرى ، اذا خرجت من
الدنيا فاصبحت ســاكن الاجداث
هل يقولن اخوتى بعــــد موتى
رحم الله ذلك البحـــــائى ؟

هو محمد بن اسحق الزوزنى البحاثى القاضى

كان من اهل العلم ، سنيا متعصبا لاهل السنة ، وله أشعار ومصنفات كثيرة جعلته فى قمة عصره علما وادبا وظرفا وخفة ظل .

وكان الناس يحترمونه مرتين ، مرة لعلمه وفضله ، واخرى لانه كان هجاء ، وكانت له طريقة من الهجاء فى النظم والنثر لم يسبق اليها ، فكان الجميع يخشون مرارة لسانه .

ومع هذا فانه لم يترك أحدا من الكبراء والائمة والفقهاء وسائر الناس فى عصره الا هجاه مر الهجاء

قال عبد الغافر وكان صديقا لوالدى ، يبيت عنده فى بعض الاحيان ، ويقترح عليه ما يشتهى من الوان الطعـــــام . وكان والدى يحكى عنه أحواله وتهتكه واشتفاله فى جميع الاحوال بما لا يليق بالعلمـــــاء الافاضل ولكنه كان يحتمله اتقاء للسانه

ويمضى عبد الغافر فيقول :

ومما رواه لى والدى عنه انه قال :« ما وقع بصرى قط على شخص الا تصور فى قلبى هجاؤه قبل أن اكلمه واجربه أو أخبر أحواله » . وحكى لى بعض من أثق

به انه قال لم يفلت احد من هجائى الا القاضى الامام صاعد بن محمد ، رحمه الله . فانى كنت قد صورت فى نفسى ان اهجوه ، فحيث تأملت فى حسن عبادته وكمال فضله ومرضى سيرته ، استحييت من الله تعالى، وتركت ما أجلته فى فكرى »

وروى ياقوت عنه فى معجمه ، انه كان يضع التصانيف عن الاكابر والعلماء ، فيرميهم فيها بما براهم الله منه ، وانه أظهر النسك بين الناس ، ولكنه بالغ فى الافحاش واغرب فى فنون الهجاء ، وأتى بالعبارات الرشيقة والمعانى الصحيحة من حيث الصنعة ، وان كانت عن آخرها أوزارا وآثاما وكذبا وبهتانا .

وقد اتفق أهل عصره على انه أهجى أهل العصر من الفضلاء ، وأفتقهم شتما قبيحا وتعريضا وتصريحا

وكان يسكن باعذرا ، وهى قرية من أعمال الموصل، ويخص جماعة سكانها من الائمة بالهجاء ، وله معهم ثارات ومشاغبات يطول شرحها .

من ذلك هجاؤه لرجل اسمه « يوسف » قلب اسمه فسماه « فسوى » وقال فيه :

فسوى وضرطى والخرا مائعا
على الذى مقلوبه فسوى
من خلقه أقبح من خلقه
وجحره أوسع من دلوى

وقال يهجو صاحب دعوة

سألونا عن قراه
فاختصرنا فى الجواب
كان فيه كل شىء
باردا الا الشراب

وله فى هجاء احد اصحابه المحدثين

الا ان هــــذا البيهقى محدث
مسيلمة الـكذاب فى جنبـه ملك
ففى وجهه قبح وفى قلبه عمى
وفى نطقه كذب وفى دينه حلك
لو ابن معين كان حيـا لجاءه
وبالسلح، سلح الكلب، لحيته دلك (١)
فلا تعجبا أن مد فى عمر مثله
ويهلك أهل الفضـل اذ خرف الفلك

وكان يتعرض بالهجاء كثيرا لرجل من افاضل قومه ، اسمه البارع الزوزنى ، ويقلب اسمه فيسميه بالباعر ، ويدعى انه افترسه ظبيا غريرا ، وافترشه بدرا منيرا ، قال : « فلما التحى أنكرت صحبته ، ونبذت وراء ظهرى مودته » وقال فيه

كان البويعر بـدرا فى حـداثتـه
ما كان أحسـنه بـدرا وابهـاه
والطيب أجمع فيها تحت مئزره
والسحر ما بثه فى الناس عينـاه
ربيتـه وهو فى حجرى الاعبـه
نهـاره ، وفـراشى كان مأواه
أفيده من جنايا العلم أحسـنها
واستفيـد لذيذا من جنى فاه
حتى اذا ما عشا جلد آسته وغدا
مشعرا ودجـا واسـود قطـراه
وصـار كلبـا وخنـزيرا وزوبعه

(١) ابن معين ، رجل اشتهر بالكذب وقال عنه الامام احمد بن حنبل انه اكذب الكذابين .

وغول قفر يميت الانس لقياه
انشا يمزق عرضى منكرا أدبى
وليس يحسن الا ما أفسدناه
ان كان ينكر ما قدمت من ادبى
فليس ينكر . شم مفساه (١)
لو لم تغير صروف الدهر صورته
لكان مغفورة عندى خطاياه

وان أنكرنا منه هذه الكلمة المنقوطة وغيرها فى هذه الابيات ، فينبغى لنا أن ننكر الكثير من شعره وهو حافل بألفاظ الجنس الصريحة ، ومن شهادته على نفسه بأنه كان يمارس عميرة ، قائلا :

يـ . . غزلان الحسان ولا ارى
غزالا من الغزلان فردا بساحتى
فمن يك قد لاقى من راحة
ففى راحتى أنسى ورفقى وراحتى (٢)

وشهادته على نفسه باتيان الغلمان ، فى مثل قوله

ولما رايت الفقر ضربة لازب
ولم يك لى فى الكف عقد على نقد
ولا لى غلام قد . . ولم يكن
سبيل الى الترك المكحلة المرد
شريت قبيحا من بنى الهند أسودا
و . . . الهنود السود خير من الجلد (٢)

ومن خبيث شعره فى هذا المجرى قوله :

---

(١) الكلمة المنقوطة ، معناها سواة الرجل

(٢) الكلمتان المنقوطتان فى هذين البيتين . هما الكلمة الصريحة وفعلها بالجمع فى البيت الأول ، وفى البيت الثانى المصدر

(٢) الكلمتان المنقوطتان فى البيتين الثانى والثالث ، هما الكلمة الصريحة فى الجنس ـ الجلد جلد عميرة

الحمـــــد لله وشـكرا عـــلى
انعامه الشـــــامل فى كل شى
ان الذى لاعبنى فى الصبـــــا
مات ، ومن قد . . بعد حى (١)

وهو فى البيت الثانى يعترف بأنه كان هو نفسه وهو صغير موضعا لعبث الـكبار .

وقد بلغ حب الهجاء بالزوزنى الى حد انه هجا لحيته الطويلة ... قال :

يا لحيـــة قـــد علقت فى عارضى
لا أســـتطيـــع لقبحهـــا تشبيهـــا
طالت ولم تفلح ولم تك لحية
لتطول الا والحمـــاقة فيهـــا
انى لأظهر للبرية حبهـــــا
والله يعلم اننى أقليهــــــا

وكان فى تشبيبه بالغلمـــان كثيرا ما يكرر الصـــورة نفسها فى أكثر من قصيدة

من ذلك قوله :

بأبى من عنـــد لثمى
زاد فى عشقى بشتمه
ومضى يبـــكى ويمحو
أثر اللثـــم بكمـــه

ثم قوله بعد ذلك :

بليت بطفـل قـل طـائل نفعــه
سوى قبل يزرى بها طول منعه
ويمسحها من عارضـــيه بكمه
ويغســـلها من وجنتيـــه بدمعه

---

(١) الكلمة المنقوطة هى نفس الكلمة الصريحة ، فعلا ماضيا .

يكاشفني ان لاح شخص بعينه
ويفتابني ان مر ذكرى بسمعه

وكان حاذقا فى معاملة الناس ، ويعترف بأنه يماريهم من اجل الرزق ، قائلا

انى لمرزوق من الناس اذ
اصبحت من أحذق حذاقهم
ما ذاك من فضل ، ولكننى
اخالق النـاس بأخلاقهم

ويقول ياقوت ان للزوزنى شعرا من الطبقة العليا ، وله قصائد غر ، ومقطعات فى الغزل مأثورة وكان ينسخ كتب الادب أحسن النسخ ، ومنها كتاب يتيمة الدهر فى خمس مجلدات وكتاب « غريب الحديث » لأبى سليمان الخطابى ، وغيرهما من أمهات الكتب

وهو اول من شرح ديوان البحترى شرحا فريدا

وكان الزوزنى ، اذ دنت منيته ، يخشى قول الناس فيه بعد وفاته ، ويقول :

ليت شعرى ، اذا خرجت من الد
نيا فأصبحت ساكن الاجداث
هل يقولن اخوتى بعد موتى
رحم الله ذلك البحاثى ؟ . .

***

فلما مات بكاه الناس ، ورثاه أبو سعد بن دوست قائلا

يا أبا جعفر بن اسحق انى
خانني فيك نازل الاحداث
من هوى من مصاعد العز قسرا
بك تحت الرجام فى الاجداث

فلك اليــوم من قواف حســـان
سرن فى المدح سيرها فى المراثى
مع كتب جمعـــن فى كل فن
حين يـــروين الف باك وراث
قائل كلهـــا بغير لســـان
رحم الله ذلك البحـــاثى

وكانت وفاته بغزنة ، سنة ٤٦٣ هـ .



العبرتائ

وزير لا يفيق من الرقـــــاعة
يولى ثم يعزل بعد ســـــاعة
اذا أهل الرشـــا صاروا اليه
لأحظى القوم أوفرهم بضـــاعه

هو على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام ، ابو الحسن العبرتائى ، نسبة الى بلدة « عبرتا »

كان حسن البديهة ، شاعرا ماضيا اديبا لا يسلم من لسانه أحد ، حتى لقد هجا كل من أحسن اليه ، ولم يسلم من هجوه أبوه نفسه

وشذ من ذلك ، انه كان يصنع الشعر فى النيل من الرؤساء ، وينسبه الى ابن الرومى وغيره من معاصريه.

من ذلك قوله يخاطب عبيد الله بن سليمان الوزير ، وقد مات ابنه أبو محمد :

قــل لأبى القاســم المرجى
قابلك الـــدهر بالعجائب
مات لك ابن ، وكان زينا
وعاش ذو الشـين والمعايب
حيـاة هــذا كفقد هــذا
فلست تخلو من المصـائب

قال هذه الابيات ، ونسبها الى ابن الرومى . فلما بلغت عبيد الله ساءته ، فدعا العبرتائى وقال له يا على ، كيف قلت .. ؟

فأدرك انه مغضب ، فقال قلت أيها الوزير

قــل لأبى القاســم المرجى
لن يدفع الموت كف غالب
لئن تــولى بمن تــولى
وفقـــده اعظم المصـــائب
لقـــد تخطت لك المنـــايا
عن حـــامل عنـــك للنوائب

ويعنى ولده الآخر ابا الحسين ، فسكت عبيد الله ، وغفر له .

ومن مر هجائه ، قوله فى الوزير الخاقانى

وزير لا يفيق من الرقاعه
يولى ثم يعزل بعد ســاعه
اذا اهل الرشا صاروا اليه
فاحظى القوم اوفرهم بضاعه
فلا رخما تقرب منه خلقـــا
سوى الورق القحاح ولا شفاعه
وليس بمنكر ذا الفعل منه
لأن الشيخ افلت من مجاعه

وكان مع فصاحته وبيانه ، لا حظ له من التطويل ، فجل قصائده مقطعات قصار .

وكانت له الى جانب الشعر تصانيف جليلة ، ابرزها كتاب « أخبار عمر بن أبى ربيعة » وكتاب المعاقرين ، وكتاب ديوان رسائله ، وكتاب مناقضـــات الشعراء ، وكتاب أخبار الاحوص .

***

وكان كثير الاســاءة للمحســـنين له ، كما اسلفنـــا القول .

من ذلك ما رواه ابن حمدون النديم ، قال

كان المعتضد قد أمر بعمارة البحيرة واتخاذ رياض حواليها ، وأنفق على الابنية بها ستين الف دينار .

وكان يخلو فيهـا مع جواريه ، وفيهن جارية اثيرة يقال لها دريرة ، فقال العبرتائى

ترك النـاس بحيره
وتخلى فى البحـيره
قاعد يضرب بالـ ...
على . . دريره (١)

وبلغ البيتان المعتضد ، فلم يظهر لأحد انه سمعهما ، وامر بتخريب ما استعمره من تلك العمارات والابنية

قال ابن حمدون فكنت ألاعب المعتضـد بالشطرنج ذات يوم ، اذ دخل عليه القاسم بن عبيد الله ، وهو وزيره ؛ فاستـأمره فى شيء وانصرف فلمـا ولى ، انشد المعتضد قول العبرتائى فى القاسم

حياة هـذا كموت هذا
فلست تخلو من المصـائب

وجعل يكرر البيت وهو يلعب ، حتى عاد القاسم والمعتضد غير منتبه اليه ، يلعب ويردد البيت

قال ابن حمدون فاحتلت حتى اعلمته بحضوره فرفع راسه اليه واستحيا منه ، ثم قال له يا ابا الحسين ، لم لا تقطع لسان هـذا الماجن وتدفع شره عنك ؟ ..

فانصرف القاسم مبـادرا الى مجلسـه ، فطلب العبرتائى ...

قال ابن حمدون فدهشت وارتعشت يدى فى اللعب خوفا مما يلحق بالعبرتائى ، للقرابة التى بينى وبينه فقال المعتضد : مالك ؟ قلت

يا امير المؤمنين ، القاسم لا يصطلى بناره ، وكأنى به وقد قطع لسان العبرتائى حنقـا عليه ، وهو احد

(١) الكلمتان المنقوطتان هما سوأتا الرجل والمرأة

النبلاء الشعراء ، فيكون ذلك سبة على امير المؤمنين .

فأمر المعتضد باحضار القاسم ، وسأله عما فعله فى امر العبرتائى ، فقال : لقد أمرت باحضـــاره لأقطع لسانه . قال المعتضد انما أمرناك أن تقطع لســانه بالبر والصلة والتكرمة ، ليعدل عن هجائك الى مدحك.

قال يا أمير المؤمنين ، لو عرفتـه حق المعرفة ، وعلمت ما قاله فيك وفى البحيرة ودريرة ، لأجزت قطع راسه .

فتبسم المعتضد وقال انما أمرنا بتخريب البحيرة لذلك . فتقدم أنت باحضاره ، واخرج له ثلثمائة دينار، فان ذلك اولى واحسن من غيره

قال ابن حمدون فأحضره القاسم وخلع عليه ، وولاه بريد الصميمرة وما والاها ، فبقى فى عمـله الى آخر ايام المعتضد . ثم جمح به طبعه الى اعادة الاساءة ، فقال :

ابلغ وزير الامام عنى
وناد ياذا المصيبـتين
يموت حلف الندى ويبقى
وأنت من ذا سخين عين
حيـاة هـذا كموت هـذا
فالطم على الراس باليدين

ومن حكاياته وهو يتولى البريد، ان أخا أبى صخرة ، عامل المدينة ، أهدى اليه فى ليـلة عيـد الاضحى بقرة للأضحية ، فاستقلها العبرتائى وردها اليه مع رقعـة كتب عليها

كم من يد لى اليك سالفة
وأنت بالحق غير معتـرف
نفســك أهديتهـا لأذبحهـا
فصنتها عن مواقع التلف !

وكان من تهتكه انه كان يحب الغلمان ، وهو يروى عن نفسه هذه الحكاية

كنت أتعشق خادما لخالى أحمد بن حمدون، فقمت اليه ليلة لأدب عليه ، فلما اقتربت منه لسعتنى عقرب ، فصرخت ، فقال خالى ما تصنع ها هنا ؟ ..

فقلت جئت لأبول فقال صدقت ، ولكن تبول فى غلامى ، فقلت اوقتى

ولقد سريت مع الغلام لموعد
حصـــــــاته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطـريق مفسـدة (١)
ســـوداء قـد عرفت أوان ذهابى
لا بارك الرحمن فيهـــا عقربا
دبـــابة دبت عــــلى دبـــاب

***

ويبـدو انه تاب عن تهتكه فى شيخوختـــه ، فجعل يقول مثل هذا القول الرزين :

أقصرت عن طلب البطالة والصبا
لمـــا علانى للمشيـــب قنـــاع
لله أيام الشــــباب ولهوه
لو أن أيام الشبـــاب تبـــاع
فدع الصبا يا قلب واسل عن الهوى
ما فيك بعد مشيبك استمتاع
وانظـر الى الدنيـا بعين مودع
فلقـد دنا سـفر وحـان وداع
فالحــــادثات موكلات بالفتى
والنـــاس بعد الحادثات سماع

ومات العبرتائى عن نيف وسبعين سنة ، وكان ذلك سنة ٣٠٢ هـ .

---

(١) مغذة من أغذ اى أسرع السير ويقصد العقرب



عمر بن أبي ربيعة

وذو الشـوق القديم ، وان تعزى
مشوق حين يلقى العاشـقينا

ويكنى « أبا الخطاب »

وهو شاعر قرشى ، فاتن السمت ، عريق النسب ، ولد يوم مقتل عمر بن الخطاب ، ولهـــذا يقول فيه خصومه اى حق رفع ، واى باطل وضع ، فى ذلك اليوم !

وقد عاش طويلا ، حتى شارف الثمانين ، ويقال انه قضى نصف عمره متهتكا ، ونصفه الآخر ناسكا

ولــكن تهتكه كان أكثر ما يكون فى فرط مغــازلته للنساء ، حتى انه لم يتورع عن مطاردتهن وهن يؤدين مناسك الحج والعمرة

وكانت العرب تقر لقريش بالتقدم على سائر القبائل فى كل شىء الا الشعر ، حتى كان عمر بن أبى ربيعة ، فأقر لها العرب بالشعر أيضا .

على انه لم يتفوق على غـيره فى مجال من مجالات الشعر الا الغزل ، وقد اعترف له بهذا أكثر معاصريه ، فقال جرير عنه انه انسب الناس ، أى أجملهم نسيبا.

وكان حماد الراوية مفتونا بشعر عمر ، حتى لقـد قيل له ذات يوم ان هناك رجلا لا يعجبه شعر عمر ، فأجاب بقوله : اذهبوا بنا اليه

قالوا : ماذا تصنع به ؟ ..

قال ننزوا على أمة لعلهــا تأتى بمن هو امثل من عمر ! ..

ويصفه احد معاصريه بقوله

« راق عمر بن أبى ربيعة الناس ، وفاق نظراءه ، وبرعهم بسهولة شعره ، وشـــدة الاسر ، وحسن الوصف ، ودقة المعنى ، وصواب المصدر ، والقصد للحاجة ، واستنطاق الربع ، وانطاق القلب ، وحسن العزاء ، ومخاطبة النساء ، وعفة المقال ، وقلة الانتقال ، واثبات الحجة ، وترجيح الشك فى موضع اليقين ، وطلاوة الاعتذار ، وفتح الغزل ، ونهج العلل ، وعطف المساءة على العزال ، وقد أحسن التفجع ، وبخل المنازل ، واختصر الخبر ، وصدق الصفاء ، ان قدح أورى ، وان اعتذر أبرأ ، وان تشكى أشجى ، واقدم عن خبرة ، ولم يعتذر بغرة ، وأسر النوم ، وغم الطير ، واغذ السير ، وحير ماء الشباب ، وسهل وقول ، وقاس الهوى فأربى ، وأبرم نعت الرسل وحذر ، وأعلن الحب وأسر ، وبطن به وأظهره ، وألح وأسف ، وأنكح النوم ، وجنى الحديث ، وضرب ظهره لبطنه ، وأذل صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ، وأعلى قاتله ، واستبكى عاذله ، ونفض النوم ، وأغلق رهن منى وأهدر قتلاه ، وكان بعد هذا كله فصيحا »

وهذا الوصف ، الذى لم يقله أحد فى شاعر آخر فى اى عصر ، وفيه ما فيه من المبالغة ، ومن التناقض فى بعض مواضعه ، يدل بوجه عام على أن عمر كان محبوبا من معاصريه ، ومن أبناء صنعته بخاصة ، لانه كان لا يتكسب بالشعر كغيره ، وكان له من حسبه ونسبه وماله وجماله وظرفه ولطفه ما يحشد حوله قلوب الرجال والنساء ، حتى انه ليقول ان اللواتى عشقنه من النساء كن أكثر ممن عشقهن هو

ويحاول بعض النقاد ان ينفى عن عمر مغامراته مع

النساء ، أو أن يخفف منها ، فيقول انها كانت مسامرات عذرية ولكننا نأخذ عمر باعترافه فيما قاله لأبى سمرة الرومانى ، اذ قال انه — أى أبا سمرة — كان يطوف بالبيت ، فرأى شيخا فى الطواف ، هو عمر ابن أبى ربيعة فى شيخوخته ، فقبض على يده وقال له : يابن ربيعة ، أكل ما قلته فى شعرك فعلته ؟

قال : اليك عنى

قال أسألك بالله ...

قال نعم ، وأستغفر الله !

وكان سليمان بن عبد الملك يسأل عمر ما يمنعك من مدحنا ؟ .. فيجيبه عمر بقوله : انى لا أمدح الرجال ، انما أمدح النساء .

وكان رجال قريش يخشون على نسائهن من شعر عمر .

قال ابن جريج ما دخل على العواتق (أى الفتيات الناضجات) فى مجالهن شىء أضر عليهن من شعر عمر ابن أبى ربيعة

وقال هشام بن عروة لا ترووا فتياتكم شعر ابن أبى ربيعة ، لا يتورطن فى الزنا تورطا !

***

ولا نستطيع أن نجزم بما كان من أمر نسكه فى شيخوخته ، أهو عن عفة أو عن عجز ، ولعل فى قوله ما يقرب لنا الظن الثانى ، اذ يقول : لقد كنت وأنا شاب اعشق ولا أعشق ، فاليوم صرت الى موارة الحسان الى الممات

ومما يرجح هذا الظن ، انه رأى فى الطواف شابين وسيمين ، فسألهما من يكونان ؟ فلما عرفهما ، قال لهما : انى موكل بالجمال أتبعه ، وانى رأيتكما فراقنى

حسنكما وجمالكما فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه .

ويروى عنه انه كان مع الوليد بن عبد الملك في ركب، وحرك عمر رداءه ليصلحه على كتفه ، فرأى الوليد على منكبه أثرا ، فقال له ما هذا الاثر ؟

قال : كنت عند جارية ، اذ جاءتنى جارية برسالة من عند جارية أخرى ، فجعلت تسارنى ، فغارت التى كنت احدثها فعضت منكبى ، فما وجدت ألم عضها من لذة ما كانت تلك تنفث فى أذنى ، حتى بلغت ماترى .

وضحك الوليد ، فلما رجع عمر من الركب ، قيل له : ما الذى كنت تحدث به أمير المؤمنين فأضحكه ؟..

قال ما زلنا فى حديث الزنا حتى رجعنا

***

كان من معاصريه جميل بثينة ، شاعر الغزل المأثور. ولكنه كان يعترف لعمر بالسبق . اجتمعا يوما بالابطح ، فأنشد جميل قصيدته التى مطلعها

لقد فرح الواشون ان صرمت حبلى
بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل ، واننى
لأقسم مالى عن بثينة من مهل

واكمل القصيدة ، ثم سأل عمر أن ينشد من هذا الروى ، فقال عمر

جرى ناصح بالود بينى وبينها
فقربنى يوم الحصاب الى قتلى (١)
فطارت بحد من فؤادى وقارنت
قرينتها حبل الصفاء الى حبلى
فقالت وأرخت جانب الستر انما

---

(١) الحصاب موضع رمى الجمار

معى فتكلم غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها : ما بى لهم من ترقب
ولكن سرى ليس يحمله مثلى

واكمل القصيدة المعروفة ، فقال له جميل هيهات أبا الخطاب ، لا أقول والله مثل هذا أبدا . والله مايخاطب النساء مخاطبتك أحد

وقام مشمرا ...

***

وكان عمر كريما مفداقا

يحكي انه هام بامرأة فواعدها ، فلما جاءه رسول يبشر بقدومها ، أعطاه مائة دينار .

ويروى عنه انه بعد أن كبر ، رأى رجلا يكلم امراة فى الطواف ، فلامه على هـذا وسأله أن يرعى حرمة المكان — وهو ما لم يفعله عمر فى شبابه — فقال له الرجل انها ابنة عمى ...

قال عمر هذا أشنع ...

قال انى خطبتها لعمى ، فطلب اربعمائة دينار صداقا ، وأنا غير مطيق ذلك

وشكا اليه من حبها وكلفه بها ، فسار عمر معه الى عمه ، فأعطاه الصداق ، وزوجها له

وحينما دبت الشيخوخة فى أوصال عمر ، تاب عن الشعر وحلف الا يقول بيت شعر الا أعتق رقبة

وذات ليلة ، هيجت جارية له نزوعه الى الشعر ، فقال

تقول وليدتى لما رأتنى
طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقا
وهاج لك الهوى داء دفينا

وكنت زعمت أنك ذو عزاء
اذا ما شئت فارقت القرينا
بربك هل أتاك لها رسول
فشاقك أم اقيت لها خدينا
فقلت شكا الى أخ محب
كبعض زماننا اذ تعلمينا
فقص على ما يلقى بهند
فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزى
مشوق حين يلقى العاشقينا
وكم من خلة أعرضت عنها
لغير قلى وكنت بها ضنينا
أردت بعادها فصردت عنها
ولو جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رفيقه فأعتقهم ، لكل بيت عبد او جارية !

***

ولو أردنا ان نعد النساء فى حياة عمر ، لاعيانا العد ، ولكل منهن نصيب فى شعره حتى ان ابنة الخليفة لم تسلم منه .

ذلك ان فاطمة بنت عبد الملك بن مروان قدمت الى مكة للحج ، فجعل عمر يدور حولها ويسمعها من شعره فيها دون أن يبوح باسمها خوفا من غضب الخليفة الذى حذرها منه وتوعده ان تعرض لها

فلما قضت حجها وارتحلت ، قال عمر ، وهذه من ارق غزله

كدت يوم الرحيل أقضى حياتى
ليتنى مت قبل يوم الرحيل

لا أطيق الـكلام من شدة الخو
ف . ودمعى يسيل كل مسيل
ذرفت عينهـــا وفاضت دموعى
وكلانا يأتى بوجد أصيـــــل
او خلت خلتى أصــــب نوالا
وحديثـــــا يشفى مع التنويل
ولظـل الخلخـال فوق الحشـايا
مثل أثناء حيـــــــة مفتول
فلقــــد قالت الحبيبة لولا
كثرة النـاس جزت بالتقبيـــل



مطيع بن إياس

ان تشـــته فســـادا
فعنـــدنا فســـاد
او تشـــئه غـــلاما
فعنـــــدنا زيـــاد
ما ان به التـــــواء
عنـــا ولا بعـــــاد

هو شاعر من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية. وكان ظريفا خليعا ، حلو العشرة ، مليـح النـادرة ، ماجنا ، متهما فى دينه بالزندقة ، ويكنى آبا سلمى .

وقد ولد ونشأ بالـكوفة ، الا انه فلسطينى الاصل، اذ جاء ابوه الى العراق مع من أمر بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف فى وقت قتاله مع ابن الزبير وابن الاشعث ، فاستقر بالـكوفة ، وتزوج ، وولد له مطيع .

ومن جداته امراة اسمها « أم خارجة » ســار بها المثل ، اذ يقال « أسرع من نكاح أم خارجة » لانهـا كانت مزواجة كثيرة الاولاد

ويروى أحد الرواة ان شيخا من اهل الـكوفة قدم على البصرة ، وكان يحدث عن أبنـاء مطيـع بن اياس ويحيى بن زياد وحماد الراوية وسائر ظرفاء الـكوفة ويروى الـكثير عن أعاجيبهم وظرفهم ، فلم يكن يحدث عن أحد بأحسن مما كان يحدث عن مطيع .

قال الراوى : فقلت له ، كنت والله أشتهى أن ارى مطيعا .

فقال والله لو رأيته للقيت منه بلاء عظيما ...
قال : وأى بلاء القاه من رجل أراه ؟
قال كنت ترى رجلا لا يصبر عنه العاقل اذا رآه ، ولا يصحبه أحد الا افتضح به .
وسئل أحد أصحابه عنه ، فقال لا تسألنى عن رجل اذا حضر ملكك ، واذا غاب عنك شاقك ، واذا عرفت بصحبته فضحك .
وذكر حكم الوادى ، المطرب المشهور ، انه غنى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلام حديث السن هذه الابيات :

اكليلها الوان
ووجهها فتان
وخالها فريد
ليس لها جيران
اذا مشت تثنت
كأنها ثعبان

فطرب الوليد ايما طرب ، وسأل عن صاحب هذا الشعر ، فقيل له انه شاعر بالكوفة ، اسمه مطيع ابن اياس ، فبعث رسولا الى الكوفة أتى به ، فقبله فى فيه وبين عينيه ، واتخذه نديما ، وشرب معه ؛ وسمع منه ، وأجزل له العطاء .
وكان مطيع ويحيى بن زياد وابن المقفع ووالبة ابن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا بملك ، وكانوا جميعا يرمون بالزندقة
ويروى النوفلى ان مطيعا كان مأبونا ، فدخل عليه قوم فلاموه على فعله ، وقالوا له : انت فى أدبك وشرفك وسؤددك ترمى بهذه الفاحشة القذرة ؟ فلو اقصرت عنها ! ..

فقال جربوه انتم ، ثم دعوا ان كنتم صادقين

فانصرفوا عنه قائلين قبح الله فعالك وعذرك !

ودعاه حماد عجرد ذات ليلة الى سهرة مع صديقة له من المغنيات ، اسمها ظبية الوادى ، واشترط عليه الا يتكلم أو يتظرف حتى لا يفسدها عليه

ووعد مطيع . ولكنه أخل بالوعد ، وتكلم وتظرف حتى افسد الجارية على حماد ، فسادا أدى بهما الى الخصام

وخرج مطيع يهجو حمادا قائلا للجارية

ألا يا ظبيــــــة الوادى
وذات الجســـد الرادى (١)
وزين المصــــر والـــدار
وزين الحى والنـــــادى
وذات المبســـم العــذب
وذات المبســم البـــادى
أما بالله تســــتحيـــ
ـــين من خـــلة حمـــاد
فحمــــــاد فتى ليس
بذى عز فتنقـــــــادى
ولا مـــــال ولا عـــز
ولا حـــــظ لمرتـــاد
فتــــوبى واتقـــى الله
وبتى حبـــــل عجراد
فقـــد ميزت بالحســـن
عن الخلـــق بافـــراد
وهــــذا البين قد حم
فجودى منــــك بالزاد

(١) الرادى البهى

وقد شاعت القصيدة وغناها المغنون وافتضح بها حماد المسكين

وشبيه بذلك ما يروى عنه من ان يحيى بن زياد قال له : انطلق بنا الى فلانة صديقتى ، فان بينى وبينها مغاضبة ، لتصلح بيننا ، وبئس المصلح انت ! ..

فدخلا عليها فأقبلا يتعاتبان ، ومطيع ساكت ... حتى اذا اكثر ، قال يحيى لمطيع ، ما يسكتك ، اسكت الله صوتك ؟

فقال لها مطيع

انت معتلة عليه ، وما زا
ل مهينا لنفسه فى رضاك

فأعجب يحيى مما سمع ، ودهش له ، فمضى مطيع يقول :

فدعيه وواصلى ابن اياس
جعلت نفسه الفداة فداك

فقام يحيى اليه بوسادة فى البيت ، فما زال يجلو راسه بها ويقول : ألهذا جئت بك يا ابن الزانية ؟ ..

وما زال يحيى يضرب ومطيع يستغيث والجارية تضحك ، حتى تركه وقد داخ

ومن مجونه انه مر بيحيى بن زياد وحماد الراوية وهما يتحدثان ، فقال لهما : فيم انتما ؟

قالا فى قذف المحصنات . قال أو فى الارض محصنة فتقذفانها ؟

وروى عوف بن زياد انه كتب لمطيع ذات يوم يقول له : « أنا اليوم نشيط للشرب ، فان كنت فارغا فسر الى ، وان كان عندك نبيذ طيب ، وغناء جيد ، جئتك »

فجاءته رقعته وعنده حماد الراوية وحكم الوادى ، ومعهم غلام أمرد اسمه زياد ، فكتب اليه مطيع يقول :

نعم ، لنا نبيذ
وعندنا حماد
وخيرنا كثير
والخير مستزاد
وكلنا من طرب
يطير أو يكاد
وعندنا وادينا
وهو لنا عماد
ولهونا لذيذ
لم يلهه العباد
ان تشته فسادا
فعندنا فساد
او تشته غلاما
فعندنا زياد
ما ان به التواء
عنا ولا بعاد

فلما قرأ عوف الرقعة صار اليهم فأتم يومه معهم

***

ومن اقبح شأنه فى الزندقة ، انه اجتمع بيحيى بن زياد وبعض صحابه ، فشربوا أياما تباعا فقال لهم يحيى ليلة من الليالى وهم سكارى ويحكم ، ما صلينا منذ ثلاثة أيام ، فقوموا بنا حتى نصلى

فقالوا نعم

فقام مطيع فأذن واقام .

ثم قالوا : من يتقدم ؟ (١)

فتدافعوا ذلك ، فقال مطيع للمغنية تقدمى فصلى بنا . . .

فتقدمت تصلى بهم وعليها غلالة رقيقة مطيبة بلا

(١) يتقدم : يكون اماما

سراويل ، فلما سجدت بانت سوأتها ، فوثب مطيـــع وهى ساجدة ، فكشف عن ســوأتها وقبلهــا وقطـع صلاته ، ثم قال

ولمـــا بدا . . . جـــاثما
كراس حليق ولم يعتمد (١)
ســـجدت اليه وقبلتـــه
كما يفعــل الساجد المجتهد

فقطعوا صلاتهم وضحكوا وعادوا الى شرابهم .

***

الى هذا الحد بلغت به الزندقة ، ويبدو انه لم يكن يدعيها تظرفا ، وانما كان مؤمنا بها ، أخذها عن بعض كتب الزنادقة فحفظها ولقنها أولاده

وقد أصابته فى كبره علة أقعدته ، فلبس لها ثيابا خضرا ، وجلس على فرش خضر ، وقال له الطبيب : أى شىء تشتهى اليوم ؟

قال أشتهى الا أموت .

ومات بعلته هذه ، بعد ثلاثة أشــهر مضت له من خلافة المهدى .

(١) الكلمة المنقوطة ، معناها سواة " اه



والبة بن الحباب

لها ، ولا ذنب لهـــــــا
حب كـــاطراف الرمـــاح
جرحت فؤادى بالهـــــوى
فـــالقلب مجـــروح النواحى

لو لم يكن والبة ، ما كان ابو نواس

هو الذى أفسده ، وهو الذى جعل منه شاعرا يملأ الـكون .

وقد روينا طرفا من هذه السيرة ونحن نتحدث عن ابى نواس ، اما هنا ، فقد آن لنا أن نتوسع فى هـذا الحديث .

كان والبة من اهل الـكوفة وكان له ابن عم اسمه ابو بجير الاسدى وكان ابو بجير هذا عامل الخليفة أبى جعفر المنصور على الاهواز .

كان والبة فى زيارته يوما بالاهواز ، حينمـا هبـط عطار من البصرة ، يعرض عطوره على أبى بجير . وكان مع العطار غلامه الحسن بن هانىء ــ الذى أصـــبح أبا نواس فيما بعد ــ فوقع نظر الشاعر الغزل الماجن على الغلام ، فاستملحه من النظرة الاولى .

وتحدث اليه ، فلمس ما عنده من معرفـة وذكاء وحب للشعر وتطلع الى مكانة فيه

وتساءل الغلام : ومن انت ؟

قال انا والبة .

فصاح الغلام متهللا انا والله ، جعلت فداك ، فى طلبك وقد أردت الخروج الى الـكوفة والى بغـداد من أجلك . وان بى شهوة للقائك ، لأبيات لك تقول فيها :

لهـــا ، ولا ذنب لهـــا
حب كأطـــــراف الرماح
جرحت فـــؤادى بالهوى
فالقلب مجـــروح النواحى

***

حينمـــا جاء محمـــد بن أبى العبـــاس السفاح الى البصرة ، عاملا عليها من قبل الخليفة أبى جعفرالمنصور سنة ١٤٧ هـ ، جاءت معه جماعة من الشعراء والمغنين، وأصحبه عمه المنصور، داهية بنى العباس، قوما تعاب صحبتهم ، فكلهم من أهل الزندقة والمجون، وغايته من ذلك أن يبغض ذلك الناس فيه ، فيرتفع ابنه المهـدى عند الناس

كان من هؤلاء المـــاجنين الخلعاء ، حماد عجرد ووالبة واشباههما من المنكبين على الخمر والفسوق مع محمد السفاح .

وكان محمد يحب أن يسمع الحكم وهو يغنى له من شعر والبة مثل هذه الابيات :

قد قابلتنـــا الكؤوس
ودابرتنــــــا النحوس
واليـــــوم هو نيروز
قـــد عظمتـــه المجوس
لم تخطه فى حســـاب
وذاك مما تســـوس

فيطرب الامير لمـــا يسمع ، ويزيد شرابا ويزيدون

وبمثل هـــذه الابيات اشتهر والبة وذاع صيته بين اهل البصرة .

وكان والبة فى نسبته من بنى أســـد ، فهو عربى قح ، ولـكنه كان مع ذلك أشبه بالموالى الروم منـــه بالعرب ، فهو أشـــقر ، ابيض اللون محمره ، ذهبى

الشعر ، واننا لنستدل على هذا الوصف من هجاء ابى العتاهية له

وابن الحباب صليبة زعموا
ومن المحال صليبة أشقر (١)
ما بال من آباؤه عرب الالـ
ـوان يحسب من بنى قيصر
اترون أهل البدو قد مسخوا
شقرا ؟ أما هـذا من المنكر ؟
اكذا خلقـت أبا أسـامة ، أم
لطخت سالفتيك بالعصفر ؟
مالى رأيت أباك أسود غر
بيب الفـدال كأنه زرزر (٢)
وكأن وجهك حمرة ، رئة
وكأن رأسـك طـائر أصـفر

وقد تعرض والبة للكثير من هجاء الشعراء ، لغرابة لونه فيهم ، ولقبح سيرته فى الناس .

ثم انه كان فى الكوفة ــ وهى يومئـذ من قواعد العلم والدين ــ متباعدا عن العلماء والفقهاء والمحدثين وأصحاب الاجتهاد فى الدين ، ملازما لامثاله من الرقعاء العاكفين على الشراب والجوارى والغلمـان ، وقد يسكرون فيعربد بعضهم على بعض ، ويقولون فى ذلك شعرا لا حياء فيه . وقد يتهاجون فيفحشون فى القول الى غير حد .

وكان والبة بعد ذلك متلافا يسرف فى الانفـاق على الملذات من خمر وطعام وجوار وغلمـان ، وعلى دعوة اضرابه لـكل ذلك ، برغم انه لم يكن واسع الثراء ،

(١) صليبة عربى قح
(٢) غربيب ، حالك السواد ــ الفدال مؤخر الراس ــ زرزر طائر اسود

ولا قريبا من الخلفاء ، فكان عماده فى الرزق ، أن يتقرب الى من هم على شاكلته من عمال الخلفاء ، كابن عمه أبى بجير الاسدى عامـــل الاهواز فاذا نضب معين هؤلاء ، لم يستح ان يطلب الصلات من أصحابه الماجنين كحماد عجرد ، الذى امله مرة وسوفه ، فكتب والبة اليه يقول :

حمـاد ، ما كانت عداتك بالعـدات الـكاذبه (١)
فعلام ياذا المـكرمات وذا الغيوث الصائبه
اخرت ، وهى يسـيرة فى الرد ، حاجـة والبه
فأبو أسـامة حقه احـد الحقوق الواجبـه
فاسـتحى من ترداده فى حاجـة متقـاربه
ليسـت بكاذبة ولو والله كانت كاذبه
فقضيتها احمـدت غب قضائها فى العاقبـه

وما أن قرأ حماد الابيات ، حتى أحس أنه أصبح ممدوحا كما يمدح الخلفاء والامراء ، فقضى حاجـة والبة .

***

ويحدثنا ابن منظور عن والبة حينما راى ابا نواس فلاما لاول مرة ، فيقول : « فراى بدنا حسنا ، وكان جميل الوجه ، وحسن البدن ، فأطار عقله » .

ومنـــذ يومئذ تولى والبة أمر ابى نواس ، وعلمه الشعر والمجون وهو غلام ، وكان بينهما عشرة سيئـة لم يتحرج الاصبـــهانى من روايتها بصراحة فى كتابه « الاغانى » ... بل ان أبا نواس نفسه لم يتحرج من الاعتراف بها بكل صراحة ، وفى روايته ما يدلنا على ان أستاذه والبة هو الذى هيأ له هذا الطريق النكر الذى سلكه طول حياته فأصبح على حد قول الدكتور طه حسين ــ مبغضا عند الناس ومحببا اليهم ... مبغضا

(١) عداتك : وعودك .

لسوء سيرته ، ومحببا لحسن شعره وتقدمه فى الادب الى حد لم يبلغه كثير من معاصريه

وكان والبة يأخذ ابا نواس فى صحبته ويخرج به للنزهة ومعاقرة الخمر ، حتى لا يعقل ولا يعى ما يفعل ، وترتفع بينهما الحشمة

وقد ظل والبة يفعل هذا بأبى نواس وهو حدث ، حتى نجح فى اضعاف خلقه وافساد سلوكه .

ومن لطيف محاوراتهما المرتجلة ، انهما خرجا يوما من الكوفة يريدان الحيرة ، ماشيين ، وارجلهما تفوص فى الرمل ، وقد جاعا ، فدار بينهما هذا الحوار الشعرى المرتجل

قال أبو نواس

يا ليت فيما بيننا ستة
أرغفة ما بينها وزه

قال والبة

من وز أرض الصين يؤتى بها
مشوية تتبعها رزه

قال أبو نواس

خوذابة ، تؤخذ من بعدها
خمر من الحيرية المزه (١)

قال والبة :

يديرها ساق وقد شابها
من ماء مزن صوب مؤتزه (٢)

قال أبو نواس :

طاب لنا العيش ولكننا
أرجلنا فى الرمل مرتزه (٣)

---

(١) خوذابة : طعام من سكر ورز ولحم
(٢) صوب مؤترة سحابة فائرة
(٣) مرتزه مفروزة



الوليد بن يزيد

أتوعد كل جبــــار عنيد ؟
فهاأنذاك جبــــار عنيــد
اذا لاقيـــت ربك يوم حشر
فقل ياوب مزقنى الوليـــد

وتهون البلية حينما يكون الشاعر ذو المجون من عامة الناس ، فللنـــاس منه ما يروق لهم من مجونه ، فاذا اجترأ فجاوز هذا الحد برز له القانون .

ولـكن ما القول فى شاعر المجون اذا جاوز الحد ، وكان هو الحاكم الذى يملك القانون ؟

هذا ما كان من أمر خليفة المسلمين الاموى ، الوليد ابن يزيد بن عبد الملك .

كان من فتيان بنى أمية الظرفاء ، وكان أشـــعرهم واجودهم . ولـكنه كان فاسقا خليعا فى دينه برغم انه من أبناء خؤولة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانه القائل

نبى الهـدى خالى ، ومن يك خاله
نبى الهـــدى يقهر به من يفـــاخر

ومع هذا النسب الـكريم ، فهو القـــائل حين سئل ما دينه :

يا أيها السائل عن ديننا
نحن على دين ابى شـــاكر
نشربها صرفا وممزوجة
بالسخن أحيانا وبالفاتر

ويقال انه لمـــا تولى خلافة المسلمين ، بدأ يومه بان استدعى أهله وسألهم أتدرون لم دعوتكم ؟

قالوا اردت يا امير المؤمنين ان تريا ما جدد الله لك من نعمته واحسانه .

فقال نعم ، ولـكنى . .

أشـهد الله والملائـكة الابر
ار والعـابدين اهل الصـلاح
انني أشتهى السماع وشرب الـ
ـكاس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا
ره يسـعى الى بالاقـداح

ولما جن الليل ، سمع صـياح بنات سلفه هشام ، يندبن اباهن ، فما راعى شعورهن ، ولا احترم قرابتهن له ، وانشد يقول

انى سـمعت بليـل
ورا المصـلى برنه
اذا بنـات هشـام
ينـدبن والدهنـه
ينـدبن قرما جليـلا
قـد كان يعضـدهنـه
أنا المخنث حقـا
ان لم أ . . . . . .

والفعل المحذوف ـ وبنون التوكيد ـ اقبح كلمة فى اللغة !

ويروى ابو الفرج عنه ما هو شر من هـذا ، يروى ان الوليد خرج ذات ليلة من مقصورة له الى مقصورة ، فوقع بصره على بنت له معها حاضنتها ، فوثب عليهـا فافترعها ، فصرخت الحاضنة تقول : انها المجوسية !

قال لها اسكتى .

ثم أكمل :

من راقب الناس مات هما

وفاز باللذة الجسور

وقد بلغ من استخفافه بأمر الدين أن أشعب دخل عليه يوما ، فكشف الوليد عن سوأته ، وسأل أشعب أن يسجد لها !

وذكرت جارية من جواريه انه قربها يوما وهو سكران ، فلما تنحى عنها ، آذنه المؤذن بالصلاة فحلف الا يصلي بالناس غيرها ، فخرجت متلثمة فصلت بالناس !

وقيل ان الوليد بعث الى شراعة ـ وهو من ماجنى الندماء ـ فلما قدم ، قال له يا شراعة ، انى لم استحضرك لاسألك عن العلم ، ولا لاستفتيك فى الفقه ، ولا لتحدثنى ولا لتقرئنى القرآن

قال شراعة لو سألتنى عن هذا لوجدتنى فيه حمارا .

قال فكيف علمك بالفتوة ؟

قال أنا ابن بجدتها ، وعلى الخبير بها سقطت ، فسل عما شئت .

قال : فكيف علمك بالاشربة ؟

قال يسألنى أمير المؤمنين عما أحب .

قال ما قولك فى الماء ؟

قال هو الحياة ، ويشركنى فيه الحمار .

قال فاللبن ؟

قال ما رأيته قط الا ذكرت أمى فاستحييت .

قال فالخمر ؟

قال تلك السارة البارة ، وشراب أهل الجنة .

قال لله درك ! .. فأى شىء احسن ما يشرب عليه ؟

قال عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه السماء فى كن من الحر والقر ، كيف يختار عليها شيئا ؟

وكان الوليد على علم بلؤم مجالس الغناء وما يدور فيها ، ولكنه ما كان يقدر أن يصبر عليها . وله فى ذلك خطاب الى بنى أمية يقول لهم فيه :

« يا بنى امية ، اياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة ويهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر . فان كنتم فاعلين ، فجنبوه النساء ، فان الغناء رقية الزنا وانى أقول ذلك فيه على انه احب الى من كل لذة ، وأشهى الى من الماء البارد الى ذى الغلة ، ولكن الحق احق ان يقال » .

فكيف نفسر هذا القول ونوائمه مع صنيعه ، الا ان نقول ان الوليد كان مصابا فى نفسه بالشذوذ ، أو انه كان مريضا بازدواج الشخصية ، نستشف هذا من الشطر الاول من عبارته هذه ، ومقارنتها بشطرها الاخير ، ومن ارجوزته التى استبدل بها خطبة الجمعة يوم صعد الى المنبر فابى الا ان يقول للناس شعرا ... قال

الحمد لله ولى الحمد
احمده فى يسرنا والجهد
وهو الذى فى الكرب أستعين
وهو الذى ليس له قرين
أشهد فى الدنيا وما سواها
ان لا اله غيره الها
ما ان له فى خلقه شريك
قد خضعت لملكه الملوك
اشهد ان الدين دين أحمد
فليس من خالفه بمهتد
وانه رسول رب العرش
القادر الفرد الشديد البطش

ارســـــله فى خلقه نذيرا
وبالـكتاب واعظـا بشـيرا
ليظهـــر الله بذاك الدينـــا
وقد جعلنــا قبــل مشركينا
من يطع الله فقد أصـــابا
أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القرآن والهدى السبيل
قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لمــــــا بقى لديكم
حى صحيح لا يزال فيكم
انـكم من بعـد أن تزلوا
عن قصده أو نهجه تضلوا
لا تتركن نصحى فانى ناصح
ان الطريق فاعلمن واضـح
من يتق الله يجد غب التقى
يوم الحساب صائرا الى الهدى
ان التقى أفضل شىء فى العمل
ارى جماع البر فيه قد دخـل
خافوا الجحيم اخوتى لعلـــكم
يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيـل فى الامثـال لو علمتم
فانتفعوا بذاك ان عقلتـــم
ما يزرع الزارع يوما يحصده
وما يقدم من صلاح يحمده
فاســـــتغفروا ربكمو وتوبوا
فالموت منكم فاعلموا قريب

***

اتينا بهذه القصيدة ، لا من اجل فنها الشعرى ، فهى جرداء من ذلك ، ولـكننا اتينـا بها كدليل على

ازدواج الشخصية عند هـذا الخليفة المريض ، الذى يقول مثل هذا الموضوع على المنبر ، ثم يكون ذات ليلة على غير هذا المزاج ، فيفتح المصحف ، فتقع عيناه ، اول ما تقعان على الآية الـكريمة :

« واستفتحوا ، وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد » .

فيصيح بخدمه اسجعا سجعا ؟ علقوه

ويعلق المصحف الـكريم ، ويأخـذ الوليـد القوس والنبل فيرميه حتى يمزقه ، ثم يقول له :

أتوعد كل جبـار عنيد ؟
فها انا ذاك جبـار عنيـد
اذا لاقيت ربك يوم حشر
فقل يارب مزقنى الوليـد

وسار البيتان الى النـــاس ، فازدادوا سخطا على سخط ، ولم يلبثوا بعد قليل أن دبروا له فقتلوه شر قتلة

نقول ان تلك القصيدة المنبرية ايست من جيـــد الشعر ، بل انها ليست الا نظما متراصا لا فن فيه . وهى لا تمثل شعر الوليد بأية حال ، وما نحسب ان له من هذا الطراز الا هذه .

ولـكننا ـ على كراهيتنـا لمجونه وزندقتـه ـ نقف ماخوذين بالناحية الجمالية فى الـكثير من قصـائده فى هذه الاغراض .

قضى الوليد ليلة عند غانية دعته للمبيت عنـدها ، فلما انصرف ، قال فيها :

قامت الى بتقبيـــل تعـانقنى
ريا العظام كأن المسك فى فيهـا
أدخل فديتك لا يشعر بنا أحد

نفسي لنفسك من داء تفديها
بتنا كذلك ، لا نوم على سرر
من شدة الوجد تدنيني وادنيها
حتى اذا ما بدا الخيطان قلت لها
حان الفراق ، فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحد
والله عنى بحسن الفعل يجزيها

ومع طلاقة هذه الابيات ، وارتفاعها عن الاسفاف فى وصف ليلة غرام ، فان الوليد لم يتورع ، من استخفافه المتوصل بالدين ، أن يدعو الله لها جزاء ما أحسنت اليه فى « الفعل » فى تلك الليلة !

ومن أجمل خمرياته هـذه الابيات التى تجمع بين المجون والفخر فى رقة سائغة سلسالة ، الى حد أن بعض ندمائه كان يرقص عند سماعها

اصدع نجى الهموم بالطرب
وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش فى غضارته
لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقدمها
فهى عجوز تعلو على الحقب (١)
أشهى الى الشرب يوم جلوتها
من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها
حتى تبدت فى منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر
وهى لدى المزج سائل الذهب

---

(١) كانت القهوة عند العرب من أسماء الخمر ، والمقصود بتقدمها انها معتقة

كأنها في زجاجهــــــا قبس
تذكو ضيــــاء في غير مرتقب
في فتيــة من بني أمية أهـــ
ـــل المجـد والمـأثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهمـــو
مثـــلى ولا منتم لمثـــل أبى

ومما يدل على سبق الوليد على غيره في الخمريات قول أبي الفرج ان الشعراء قد أخذوا من أوصـــاف الوليد في الخمر الـكثير الذى أدخلوه في أشـعارهم وسلخوا معانيها ، وقد سـلخ أبو نواس خاصـة كل معانيه وجعلها في شعره فكررها في عدة مواضع منه .

***

قال المدائني ولمـا أكثر الوليـد بن يزيد التهتك وانهمك في اللذات وشرب الخمر وأفرط في أمره وغيه ، مل الناس أيامه وكرهوه ، وتآمر عليه عقلاء بنى أمية فقتلوه .

ولم يعدم الوليـد بعد انفضـاض سيرته من ينبرى للدفاع عنه وتبرئته .

يقول أبو الفرج ان المهدى حين جاء ذكر الوليد ـ رماه بالزندقة ، فانبرى ابن علاثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، الله عز وجل أعظم من أن يولى خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يؤمن بالله . لقـــد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهـــــارته وصلاته ، وحدثني أنه كان اذا حضرت الصـلاة يطرح ثيابا بيضا عليه من مطيبة ومصبغة ، ثم يتوضــــأ فيحسن الوضوء ، ويؤتى بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود ، فاذا فرغ عاد الى تلك

الثياب التى كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود الى شربه ولهوه

***

وهـــــــذه الحكاية تؤكد لنا ما زعمنا انه ازدواج الشخصية عند الوليد . فلعله كان مؤمنا فى قلبــه ، ولــكن الخمر كانت تفسد عليه ايمانه ، فكان اذا افاق آمن واذا سكر كفر

وتؤكد هذه النظرية حكاية عن نديم له أثير عنده ، اسمه القاسم بن الطويل العبادى ، وكان اديبا ظريفـا شاعرا . وكان الوليد لا يصبر على بعده .

كان القاسم عنده فى ليلة اشتد عليه السكر والطرب حتى نام ، فلما فتح عينيه والخمار لايزال فى راسه ، سأل عن القاسم ، فقيل له انصرف ، فغضب وصاح ائتونى برأسه .

وذهبوا فالتمسوا الرجل وذبحوه وأتوا براسه الى الوليد ، فلما رأى الراس افاق من سكرته وســأل عن قاتله ، فرووا له القصة ، فبكى وندم ورثاه بقصيـدة من جيد شعره فى الرثاء .

ومهما يكن من امر ، فان تاريخ المجون قــد عرف عشرات من الماجنين من كل اون وفى كل عصر ، ولــكنه لم يعرف افجر من الوليد فيما صــنع بكتاب الله مما لا يغفره له التاريخ الى يوم الدين .

المجون

في العصر الحديث

لم يكن المجون مقصـــورا فى أكثره على تلك الفترة الصاخبة من زمان الدولتين الاموية والعباســـية . فالمجون قائم فى كل عصر ، باق بقاء النفس البشرية فى نزواتها وانحرافاتها ، وضحكها وهزلها .

واذا كان صوت المجون قد علا أبان تلك الفترة التى اشرنا اليهـا كما لم يعل فى اية فترة أخرى من تاريخ الادب ، فذلك لان أثر الحضارة الفارسية عند دخولها على العرب ، بخيرها وشرها ، وبما تحمل فى طياتها من مذاهب معادية لروح الاسلام ، كان من أبرز الاسبـاب التى حملت الموالى ، ومن صاحب الموالى من العرب ؛ على الاسراف فى المجون ، اما انسياقا مع التيار ، واما تظرفا وطلبا للشهرة .

على ان المجون قائم فى كل عصر ، وفى كل أرض ؛ حتى اليوم ، وان كانت لهجة الزندقة منه قد اختفت ، وحـدة الانحراف الجنسى قد خفت ، واصبح مجون شـعرائنا المعـاصرين يجرى اكثره فى الهجاء والدعابة والتظرف وما الى ذلك من الاغراض الهينة

وقد عرفنا فى زماننا نفرا من الشعراء المـاجنين ، المسرفين فى المجون ، كالمرحومين عبد الحميد الديب ومحمد مصطفى حمام

وكذلك ابتدع المرحوم حسين شفيق المصرى اسلوبا جديدا فى المجون السيـاسى ، اشتهر باسم « الشـعر الحلمنتيشى » .. وقوامه معارضة القصائد المشهورة ،

بقصائد مبتدعة ساخرة تدخلها الدارجة فى الكثير من أبياتها ، وتعرض برجال السياسة الذين حكموا مصر فى عهد الاحزاب

وفيما يلى المامة عاجلة باللون الجديد من المجون الذى عرفه العصر الذى نعيش فيه ، واكثره من الفكاهة الحلوة التى لا توغل فى المجون

***

كان لأمير الشعراء أحمد شوقى ، على ضخامته ، جانب من المجون

ومن الطف مجون شوقى ، مداعباته لصديقه الدكتور محجوب ثابت ، وهى مداعبات كثيرة ، دار اكثرها حول لحيته المشهورة ، وجواده الهزيل ، وسيارته العرجاء .

يقول شوقى فى لحية الدكتور محجوب ، وما يسكنها من البراغيث :

براغيث محجوب لم انسها
ولم انس ما طعمت من دمى
تشق خراطيمها جوربى
وتنفذ فى اللحم والاعظم
ترحب بالضيف فوق الطريق
فباب العيادة فالسلم
قد انتشرت جوقة جوقة
كما رشت الارض بالسمسم
وترقص رقص المواسى الحداد
على الجلد والعلق الاسحم
بواكير تطلع قبل الشتاء
وترفع الوية الموسم
اذا ما ابن سينا رمى بلغما

رأيت البراغيث في البلغم (١)
وتبصرها حول « بيبا » الرئيس
وفي شاربيه وحول الفم
وبين حفائر أسنانه
مع السوس في طلب المطعم

وحين استبدل الدكتور محجوب عربته وجواده ، وكان يسميه مكسويني (٢) ، بسيارة عرجاء ، قال شوقي ، وكان ذلك سنة ١٩٢٤

لكم في الخط سياره
حديث الجار والجاره
« أوفرلاند » تنبيك
بها القنصل « طماره » (٣)
اذا حركها مالت
على الجنبين منهاره
وقد تحرن احيانا
وتمشي وحدها تاره
ولا تشبعها عين
من البنزين فواره
ولا تروى من الزيت،
وان عامت به الفاره
ترى الشارع في ذعر
اذا لاحت من الحاره
وصبيانا يضجون

---

(١) يقصد بابن سينا الطبيب ، الدكتور محجوب ثابت وكان « ابن سينا » يلقب بالرئيس ، وترى الاشارة في البيت التالي

(٢) والاسم أصله لاحد زعماء الاحرار بايرلنده الذي اضرب عن الطعام حتى مات جوعا وقد سمي حصان محجوب مكسويني بسبب تجويع محجوب له •

(٣) هو الشيخ طماره وكان اماما بالمفوضية المصرية في وشنطون •

كما يلقون طيـــــــاره
وفى مقـــــــدمها بوق
وفى المؤخــــر زمـــاره
فقــد تمشى كما شــاءت
وقـــد ترجع مختـــــاره
قضى الله على الســـوا
ق أن يجعلهــــــا داره
يقضى يومه فيهــــــــا
ويلقى الليـــــــل مازاره

***

ادنيـــا الخيل « يا مكسى »
كدنيـا النـاس غـداره ؟
لقـــد ابــــدلك الدهــر
من الاقبـــــال ادبـــاره
فصـــبرا يا فتى الخيل
فنفس الحر صبـــــــاره
أحـــق أن محجـــوبا
ســـلا عنــك بفخـــاره
وبـــاع الابلـــق الحــر
« بأوفرلاند » نعـــاره
ولم يعـــرف لك الفضـــل
ولا قــــــدر آثاره ؟
ولا والله ما كلفـــــــــ
ـــت محجوبا ولا بـــاره
فلا البرســــــيم تـــدريه
ولا تعـــــــرف نواره

***

ولشوقى ــ غير المحجوبيات ــ طرائف كثيرة ، منهـا

قوله عندما بشر بميلاد ابنه على

صـــــار شوقى ابا على
فى الزمـــان التـــرللى
وجنـــاهـــا جنـــاية
ليس فيهـــــــا بأول

***

والشاعر القروى ، رشيد سليم الخورى ، من اكثر الشعراء الجادين فى هذا العصر ، فجل شعره وطنى موهوب لوجه القومية العربية ، ودعوة الامة العربية الى اليقظة والتماسك فى وجه الاستعمار .

ومع هذا ، فان له قصائد قليلة ضاحكة ، كتلك التى قالها عندما جز شاربيه

قالوا حلقت الشـــاربين
ويا ضيـــاع الشـــاربين
فأجبتهم بل بئس ذان
ولا رأت عينـــاى ذين
الشـــاغلين المزعجـــين
الطـــالعين النـــازلين
ويلى اذا ما ارهفـــا
ذنبيهمـــا كالعقـــربين
ان ينـــزلا نجمـــا فمى
او يطلعـــا التطمـــنا بعينى
واذا همـــا بســـط الخوا
ن تراهما ســـبقا اليـــدين
فاذا اردت الاكل يقتســـما
ن بينهـــــما وبينى
واذا اردت الشرب يمتصـــا
ن كالاســـــفنجتين

فكانني بهما وقد
وقفا بباب المنخرين
عبدان من أشقى العبيد
تقاضيا ملكا بدين

***

وكان صديقنا المرحوم فخرى البارودى ، من سراة الشام ، وهو في الوقت نفسه من زعمائها وساستها واعلام الادب والشعر والموسيقى والفكاهة فيها .

وكان يحب صباح الوجوه من الشباب ، وقد رويت عنه في هذا الصدد نوادر كثيرة ، شهدت واحدة منها ، اذ كنا بدمشق ، ومعنا نفر من اعلام الادب والشعر في مصر ، منهم احمد رامى

وكان مقررا أن نصعد الى بلودان ، ونقضى الليلة هناك ، على أن نبيت بأحد فنادقها

واصر فخرى البارودى على أن يصحبنا الى بلودان ثم يعود ، وفعل . وهم بالعودة ، فاستبقاه رامى اشفاقا عليه من الطريق في الليل ، فذهب معنا الى الفندق .

وبعث له رامى بصحن من الكمثرى في غرفته ، مع مليح من غلمان الفندق ويبدو ان الغلام كان يعرف بعض حكاياته ، فترك له الصحن على مائدة في غرفته ، وولى مسرعا دون أن يستجيب لنداء فخرى الذى يبدو انه كان يريد أن يقول له شيئا .

ونظم فخرى أبياتا يشكر فيها رامى على هديته ، مطلعها :

يا رامى الشعر ، كمثراكمو وصلت
مع الرسول ، فأهلا بالحبيبين

وفى الصباح ، كنا نقف ، رامى وانا ومن معنا من

ادباء مصر ، مع نفر من الشباب المحب للأدب
وجاء فخرى ، فألقى تحية الصباح ، وجعل يقبلنا واحدا واحدا ، حتى ادرك رامى ، فتردد قليلا ، ثم قال له :
ــ وأنت أيضا اقبلك لوجه الله
فقال له رامى ، مشيرا الى حكاية « كمثراكمو وصلت مع الرسول » :
ــ أتريد أن تقبلنى لوجه الله أم لوجه الرسول ؟

***

ومن حكاياته انه كان مع بعض أصحابه ، ومنهم المرحوم حسنى تللو ، وكان هو الآخر من ظرفاء دمشق ، يسمرون فى بيت فخرى ، فهبط عليهم مطرب شاب مليح مخمور ، وجلس يغنيهم حتى الصباح :
وقال فخرى يصف الليلة

وغزال زار ، تكيتنا
حرم الظرفاء بذى البلده
فى عتمة آخر شوال
اذ جاء مفاجأة وحده
وأبو عدنان يحدثنا
حسنى تللو فوق السده
عن شيخ المفشى والمحشى
والعسل الصافى والزبده
واذا بالظبى يفاجئنا
والسكر يوسده زنده
صفقنا فرحا وسرورا
وأقمنا الكون بلا قعده
من ثمة راح يغنينا الـ
ـشحرور على نهج البرده

وجعلنـــــا نرقص بالدبكا
وفتــانا يرقص ع الوحــده
وادار الـكأس مشعشـعة
يسـقى وينقلنـــا خـده
فشربت ورحت اقبـــله
خـدا يتــــأرجح كالورده
فيروح ويغــدو منتشيـــا
ويميس بقــد كالصـــعدة
واذا بالفجـر يشـير لنـــا
والليــل مشى يطـوى برده
بالقبـــلة راح يودعنــــا
كوداع الطفــلة للجــده
وأنا لليـــــوم على نار
أرجــــو ازيــارته رده

***

وحكاية أخرى ...

زاره ذات يوم نفر من اصدقائه فى قريته «الجربا» بالفوطة ، وكان فيهم الشاعر خليل مردم بك .

وباتوا عنده ، فأكرمهم بالطعام والشراب والمنام فلما كان الصباح ، انصرفوا ولم يودعوه ، واكتشف فخرى بعد انصرافهم ان خليل كتب على جدار الفرفة هذه الابيات باسمه هو ومن معه :

الا يا صــاحب الجربا
بلاك الله بالجــــرب
فانا قــد وجدنا عنـــ
ـدك البلوى على كثب
فلــدع البق والنــامو
س يدنينا من العطب

ومذ خفنا الحمـــام فقـــد
لجـانا منـــك للهـــرب

وقرأ فخرى هذه الابيات ، فرد عليهم جميعا بمثلها ، قائلا :

الا يا عصـبة الاشرا
ر اهل الزور والـكذب
أ أدعــوكم واكرمـــكم
واهجى دون ما سبب
يلذكم الهجـــاء كما
يلذ الحك ذا الجرب
فما انتم سوى غجر
ولستم من بنى العرب
فشـــــعركمو ونثركمو
وهجوكمـــو على ذنبى

***

واحمد رامى ، هو من اظرف ظرفاء عصرنا هذا ، وله مداعبات كثيرة ، منها ان صاحبه الشاعر اللبنانى الجهير امين نخلة دعاه يوما الى الفداء ، وقال انه قد اعد له اكلة ممتعة

فلما ذهب ، وجد ان هذه الاكلة الممتعة هى الضفادع ، التى لا نأكلها نحن المصريين ، فأمسك رامى عنها ، وخرج جائعا ، وكتب هذه القصيدة فى هجاء صاحبه

دعانى الى اكلة ممتعـــه
وقال سيطعمنى ضفدعه
وكيف تكون الضفادع قوتا
ومرقدها الليـل فى منقعه
تبيت مع الطـين مطمورة
وتـاكل اوضـاره طيعـه

وتملأ جو الليـالى ضجيجا
يقض على نائم مضـجعه
لها مشية مثـل زحف القعيـد
اذا دب يسعى على أربعه
وجلد كجلد الحذاء العتيق
تهرا ، وصـاحبه رقعه
دعانى اليهـا فأمسكت عنها
ومد الى اكلها اصـبعه
وراح يقضـقض بالضبتـين
عظـاما لهـا بيننـا قرقعـه
فاقسمت الا أقبـل فاه
اذا غاب والمنتـأى ارجعـه
وخيل لى ان امد ذراعى
وطـاب لـكفى أن تصـفعه
فلا كان هـذا الطعـام الـكريه
ولا كان يومك يا ضفدعه

...

والشاعر الراحل محمود غنيم ، له اخوانيات كثيرة توغل احيانا فى الهجاء ومن أصلحها للنشر ، انه ذهب مع بعض أصحابه لزيارة الشاعر محمود الخفيف ــ رحمه الله ــ وجاءت الظهيرة ومرت ، وأوشك العصر ، وهم جياع ، فقال لمحمود الخفيف :

ايه يا محمود جعنـا
هـات لحمـا ورغيفـا
واسـقنا شـايا ثقيلا
لعـن الله الخفيفـا

ومن مداعباته لصديق له كان يعمل باحدى الدوائر الحكومية ، ورئيسته سيدة

فلان ... نعم الرجل
محتـــرم مبجـــل
له رئيســـة اذا
ما أمرت يمتثـــل
حتى اذا ما حملت
تــراه أيضـا يحمـل

نماذج من

الشعر الضاحك المعاصر

عبد الغنى سلامة

بين الجد والهزل

يقولون جـــد ولا تهزل
والا غـــدوت بلا « منـزل »
فان الفـكاهة شـــؤم الاديب
وان يك فى منصب يعـــزل
فقلت املـكوا أنتم النـاطحات
ســأنأى عن الهم فى معـــزل
مبـــاهج حفت بهـــا جنـــة
ومن يســع فى نيلهـــا يبـــذل
سـئمت الاسى ، وحيـــاتى بكم
حيـــــاة أمر من الحنظـــل
أ أســكت بين نبــاح الـكلاب
لتنهش لحمى باللمز لى ؟ ..
ألفت الفـكاهة . انى بها
ارد الى عمـــــــرى الارذل
سأحيـــا لها ... وأسوق الفلاظ
قطيعـــا من الضـــأن لم يهزل
فلا تعجبـوا ان جززت الخراف
وأعملت فى صــــوفهـــا مقزلى

ضرس شاعر

« نظم شاعر صديق قصيدة يرثى فيها ضرسه مدعيا انه لم يجاوز سن الخمسين مع انه قد ناهز الستين ، فقال عبد الغنى سلامة معارضا قصيدته الباكية »

هــل رايتم من راى نوحا غلاما
كيف يحصى عمـره خمسين عاما
عمــر الشــاعر وارتد الى
ارذل العمر ، ولم يشك سآما
يا له ودع ضرسـا ناتئـا
هاربا من اكل اموال اليتـامى
جـذره الفـانى شجانا نعيـه
حين سـجاه وواراه الرغاما
ليس بدعا وغريبـا ان سقى
ضرسـه من ريقه الموت الزؤاما
وغريب ، بل عجيب ان نرى
مثله فى شـدقه ضرس أقاما !
ظــل يرميه بروع من وغى
سنه الستين طعنـا وسـهاما !
وهو ان خف الى معــركة
جرد الضرس ولم يحمل حساما
كيف يبكيه ، ومثلى لم يجد
فى الثـــلاثين بفكيه عظـاما

وانا الصادق لا الكاذب فى
ان ضرسى لم يذق يوما حراما
لا ولم أطحن به فولا ، ولم
اعتلك فى ساعة الشد لجاما

***

انا أولى ببكاء موجع
ينصف اللؤلؤ عقدا ونظاما
أنا لو عاش لى الضرس الذى
ضج ناعيه لفاخرت الاناما
كنت أكسوه نطاقا مذهبا
ثم أبقيه على الصدر وساما

***

ظل يحمى ذلك الضرس لكى
يحسن الاكل ديوكا وحماما
وأنا انشد ضرسا علنى
أحسن النطق حديثا وكلاما
ايه يا شاعر عمرت كما
عمر الضرس ولم تبق طعاما
هات أسنانك وارحل تاركا
لفمى نورا فقد عاش ظلاما
من مجيرى من ظلام معتم
حالك شيع أضراسى تؤاما
جفت الادمع فى ماتمها
وتجلدت ، ولم أبد اهتماما
يا لمهدار على ضرس فدا
فى نواح زاد عن نوح الايامى

عبد السلام شهاب

تفاريح أعياد

ببـاب الخلق قد طـال الوقوف
ولا جدى هناك ، ولا خروف
لقـد سبقت فما أبقت كروش
بها - للأكل - قد خلقت كهوف
لحوم العيـد قد وقفت عليهـا
وأمثالى لهم جلد ، وصوف
بل الاسعاف نعطيـه « الفراوى »
أيسعفنـا ونتركه يهيف ؟ .
فيا عيد الضحية : هل اضحى
بنفسى فيك ؟ أم ماذا تشوف ؟..

***

الا . . . فى ذمة الحاتى كباب
عليه الفائزون به . . عكوف
فما ظفرت به منا . . بطون
ولا ظفـرت بريحتـه أنوف
اذا ذهب الاخـاء فـلا كـريم
يحن على الفقير ، ولا عطوف
فقل لذوى الذبائح الف طظ
ولا تسـأل اذا غضب القحوف

كفى . . للأسرة احتفلوا بعيد
تساوى الضيف فيه والمضيف
وكم فيه اشترينا من هدايا
وما فيها تليد ، أو طريف
بضائع طالما فتنا عليها
ملقحة ، بها امتلأ الرصيف
ومدخراتنا . . . ضاعت هباء
وضيعها لنا الحس الرهيف
وما انتفعت بها أم رؤوم
ولا . زوج لها وأب رؤوف
***
وقالوا للصحافة جاء عيد
وأنت لكل أسرتها رصيف
نعم ، عيد الصحافة جاء يسمى
ونحن به - حواليها - نطوف
وفى دار النقابة كل يوم
صباح مساء تنتظم الصفوف
ونشبع كلنا خطبا ، وشعرا
وأزجالا . بها عملت كشوف
فمن يفرحه فى عيد خروف
ففرحتنا الصحائف والحروف
***
وقالوا لليهود - كذاك - عيد
وفيهم صاحب حلو ظريف
فطرت اليه يحملنى اشتياقى
وقلت سعدت فصحا يا جوزيف
فقابلنى بكم أهلا وسهلا
وأشبعنى كلاما . . يا لطيف ؟

دماغى منه . حل به صداع
له دق على مخى عنيف
وخفت أموت بين يديه جوعا
فيرفسنى وفى يده الرغيف
وعدت بفردتى خفى حنين
وبعتهما .. لأبلع .. قرص « ريفو »

***

وفى عيد القيامة ، قمت أسعى
وفى ذهنى من الماضى طيوف
عسى ولعل ... آكل لحم ديك
به قلبى - على طول - شغوف
ولكنى رجعت ودمع عينى
على خدى من جوعى ذروف

كان النيل يجرى تحت جفنى
ودمعى منه ينزحه شدوف
وواصلت الصيام برغم انفى
وعدت كاننى قط أليف
تحجبت الفراخ . . . بلا حياء
وواراتها الستائر والسجوف

واصبح لحمها سرا مصونا
وحتى ليس يعرفه العريف
وما منع الحجاب لقاء حب
ولكنى - على فقرى - انوف
وآكل لقمتى - حافا - بكوخى
وليس يهمنى القصر المنيف
وياما قد اكلنا من ديوك
لها روس تتوجها عروف

وقلت غدا لناظره قريب
وفى عيد الربيع لنا قطوف
على شم النسيم ... فطرت صبحا
ورحت على حدائقهم أطوف
فلم أر زهرة لم يقطفوها
ولم تذهب بنضرتها الحتوف
ورائحة الفسيخ لها هبوب
وقد عصفت ولا الريح العصوف
وفوق الارض قد فرشت قشور
ملونة ، شكا منها الجروف
فمن بيض الى بصل وفجل
عليها انكب جاز منتشوف
فما يدرى ابن آدم هل ربيع
يطالع فى الحدائق أم خريف
ولا يدرى ، ولا مخلوق يدرى
أروض ها هنالك أم كنيف ؟

***

على ان الذى زاد انفلاقى
ومنه أنا على نفسى أسيف
مناظر فى الحدائق للسكارى
وما فيهم ولا رجل نظيف
وكل فتى ... تلوف به فتاة
سواى ، فليس بى أحد يلوف
فعدت لمنزلى أجرى فرارا
كهتلر حين طارده زكوف ،
فيالك فسحة قلبت بفم
وما يرضى بها الا سخيف
وهل فيها سوى قرف وغلب
وآفات - بلا حصر - تؤوف ؟

وقلت لزوجتى هــذا ، فثارت
كبركان يقـــال له فزوف
ومن فمهــا تشبلق بى لســان
كما تهوى على الباغى السيــوف
اقول لها ، وقد هاجت وماجت
كفى ... فتقول تكفيك الــكيوف
انحن أقـــل قـدرا أو مقــاما
وكرشـــك وحده الــكرش العفيف
وقلت لها اسكتى ، فبكت بصوت
تردده الحوائط والســــقوف
وقالت : مالنا ـ كالنـــاس ـ عيـد
فقلت لهـــا كذا قضت الظـروف
لقد كنا وكنا . ثم صرنا
وقد نظفت من الستر الــكفوف
ومطبخنـــا . خـلا من كل لون
فما فيه لنـــــا الا الرفوف
زمان العز ولى . بالاوازى
فلا أوســـيم تنجب او منوف
وليس فتى مرتبـــــه قروش
كمثل فتى مرتبــــــه ألوف
فمن يرقص له زمن الفـــوازى
فانا لا تحركنا الدفـــــوف
وكم عيد ، شبعنا فيه لحما
وكانت عنـــدنا منه صـنوف
***
فخلى عنــــك لومى واعذرينى
فمــا فى الفقر عيب او كسوف
أنا فى عرض مامتـــك اعتقينى
فقــــد جننتنى ياست فوفو

وما قلبى بحب الفول مضنى
ولكنى امرؤ سهل الوف
فصبرا فى مجال الفول صبرا
فانى عن ذبائحهم عزوف
وفى الامثال قيل الصبر حلو
ومن يصبر فذاك هو الحصيف
واكل المش خير من خروف
اشكه . . . اذا وجد الخروف
اذا فى العيد أهل البيت صاموا
فليس يهم ما طفح الضيوف
وما ذنبى أسمن فى ضيوف
وجسمى — دائما أبدا — نحيف
ولو أنى استطعت شراء ديك
لقاسمت الخلود أباك خوفو

***

فيا عيد الفكاهة أنت عيدى
وأنت لعمرك العيد اللطيف
وحسبى منك تشبعنى ابتساما
وحسبك اننى رجل شريف
وليس العيد يصنعه طبيخ
وليس العيد يصنعه غريف
وما دمنا معا نحيا ونسعى
فليس أمامنا شىء يخيف

***

نعم ، حقا هى الدنيا حظوظ
وما كالحظ فى الدنيا حليف
اذا ما الناس فازوا بانبساط
فما قد فاتهم . . . شىء طفيف

سوسو

احب سوسو ، وما ادراك ما سوسو
سوسو التى فى هواها الصب موحوس
كم اظهرت دلعا قد زادنى ولعا
ثم اشترت سلعا .. فالجيب متعوس
وقال عقلى : انس سوسو فهى مسرفة
فقلت كلا ... فولى وهو ملحوس
وهامس باسمها فى سره سحرا
والكون فى خنه المحبوك محبوس
فقمت من عز نومى صارخا فزعا
كانما شكنى فى القلب دبوس
وقلت روحى وما تحويه محفظتى
فداء سوسو .. تعالى بس يا سوسو

هن هن

احبهن ، كلهن بيضهن، سمرهن ، حمرهن غير هنه
واين هن: سودهن، صفرهن،خضرهن، زرقهن، أين هنه؟
الا .. وان كلهن بعضهن . . . يشبهن بعضهنه !
وكلهن ، فافهمن واحكمن ، انهن : هن هنه

حسين شفيق المصرى

الفقر والأخلاق

« علو فى الحيــــاة وفى الممات
لحق تلك احـــدى المعجزات »
حيــاتك كلها كانت صــعودا
الى غرف الســـطوح العاليات
هى الســكنى ، وللفقر احتــكام
يمرمغ انف اقوى الــكائنـــات
وتدفن بعـــد موتك فوق تل
نزيلا بين أقوام حفـــــــاة
كأنك قائم فيهم خطيبــــــا
يهجص فى الليـــالى الخاليات
بفلســـفة من الخريف أدعى
الى ضحكى من النكت اللواتى
تقول الفقر للأخــلاق صــون
وفيه حشـــمة للفانيـــات
فقلت لك اتلهى ما أنت الا
حمـــار من حمــير ناهقــات
رايت الفقر يفســد كل نفس
باذلال الابـــاة بنى الابـــاة
يخلى اشـــجع الشجمان يخشى
من الولد الصغير وم الفتاة
وكم فى الفقر من رجل حرامى
وكم فى الفقر من رجل فلاتى
ولولا المـال ما صـلحت أمور
ولم تر كيف حل المشــكلات

رجال أحدثوا البدعا

« امسيت فوق تراب الارض مضطجعا
فما ابالى أراح الصبر أم رجعا ؟ »
مفيش شغل ولا مال نعيش به
والعقل م الراس بعد الياس قد طلعا
ولا رجاء لنـا ما دام يدفعنـا
الى البلاء رجال أحدثوا البدعا
أحزاب تلحمة ما فيهمو أحـد
يدرى بشىء اذا لم يفتح الودعا
مخرفون ملاحيس اذا نطقـــوا
قاقوا مقاقاة وز جاوب البجعا
فحزب شعب وليس الشعب يعرفه
ملخبط المخ طول العمر ما نفعا
وآخرون [illegible] للجهل انهمو
حزب اتحاد وليس الرأى مجتمعا
فيـا وزارة بزياداك مهيصـة
بهؤلاء فحبـل الهيصـة انقطعـا

خلقت على كيفى

«سواى يهاب الموت أو يرهب الردى
وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا »
وكم من فتى مثلى مرازى متلحم
رأى «حمدا» فى « زره » فتقنفدا (١)
« لكل امرىء من دهره ما تعودا »
وعادة هـذا الزر أن يتبلدا

(١) حمد : المرحوم حمد الباسل

خلقت على كيفى وكيف أحبتى
وكيفك أيضا لو تقر على كدا
فلا بائعا دينى بدنيا أصيبها
ولا مظهرا للبقف يوما توددا
ولست وصوليا أريد وظيفة
فانصب رأيى للوظيفة مصيدا
اذا أنت أكرمت الحصان ركبته
وان أنت أكرمت الحمار تبغددا
فان كنت يا ابن الناس زيى فاننى
صديقك ما أرغى العذول ، وأزبدا
وان كنت فلعوصا أو ابن صريمة
فدعنى ولا تكثر على الترددا

حسين طنطاوى

اسمع ـ فهذا الشعر «حلمنتيشى»
هو ـ سكر ـ والله « سنترافيشى »
فيه الهزار ـ وفيه أيضا ـ حكمة
ونا شاعر فحل « وزيه مفيشى »
« أفكاره » هى كالجواهر «والنبى»
خدها ـ بلا ثمن ـ ولا بقشيش !..

***

اضحك ـ فان الضحك كالياميش
فى طعمه ـ والكحك والارائيش
اضحك ـ صباحا ـ أو مساء ـ مغربا
ليلا ـ بلا بخل ولا تحويش

اضحك ـ لاصحاب ـ لاهل ـ اخوة
« اضحك لى ـ لو حتى ماتعرفنيشى»
اضحك ـ إذا كانت أمامك « لحمة »
أو كنت « متفدى بجبنه أريش »
واذا ضحكت أنا « ما تسألنيشى »
عمـــا يضحكنى « ولا تحوشـنيشى »

***

اضحك ـ تجد دنيـاك ـ بنتا حلوة
وقفت «بتضحك لك ـ ولا بتمشيشى»
بوز ـ تجدها ـ غولة بمخالب
بالضرب ـ تنزل فيك ـ والتلطيش !!

***

اضحك امام مراية ـ تر طلعـة
كالبــدر ـ او احـلا ـ بلا تهويش
بوز أمام مراية ـ تر سحنة
كالقرد ـ والله « ما تعجبنيشى »

***

أضحك ـ وكل « مشا » تحس كأنه
« جاتوهة » والجيم بالتعطيش !..
بوز ـ وكل « عسلا » تحس بحنضل
أو علقم ـ فى البق والنفاشيش ! ..

***

انى صديق الضحك ـ أجرى خلفه
«وانده» له ـ لو فات «ولاشافنيشى»
ويزورنى ـ فى بيتنا ـ وأزوره
فى بيته ـ لو غاب « لو ما يجيشى »

***

انى عدو الحزن ـ لو أنا شفته

فى ســكة ـ اجرى « ما تلحقنيشى »
واسك « شباكى » اذا «ست» بكت
او صوتت ـ « بزجاجه والشيش »

***

لا تزعلوا ـ فالحزن ليـل ـ ضـلمة
والضحك نور ـ احمـر ـ طرابيشي
والضـاحكين ـ عقولهم موزونة
والزعلانون ـ عقولهم «مناويشى»

***

ان الحياة حديقة ـ بزهورها
وطيورها ـ ذات الفنا والريش
هى جنـة ـ وبنات حور ـ حولنـا
تبـدى حلاوتهـا « ولا تخبيشي »
لو شمسها غابت ـ بنور بدرها
ونجومها فالنور «مايطفيشى»

***

يا أيها الزعلان ـ ان جمالهـا
«دايما» أمام عيونك الشبشبيش !
افرح بها ـ وانس الهموم فانها
بأظـافر ـ فى القلب ـ كالخرابيش
اضحك ـ فان الضحك كاليأميش
فى طعمه ـ والـكحك والقراقيش

فهرس

صفحة

ابن الحجاج ٧
ابن سيابة ١٣
ابن لنكك ١٧
ابن المعذل ٢٣
ابن مناذر ٢٩
ابو دلامة ٣٥
ابو العيناء ٤٥
ابو نواس ٥٣
ابو الهيثم ٦٩
الاقيشر ٧٥
بشار بن برد ٨١
جحظة البرمكي ٩٣
الحسين الخليع ٩٩
حماد عجرد ١١١
الزوزني البحاثى ١١٩
العبرتائى ١٢٧
عمر بن أبى ربيعة ١٣٣
مطيع بن اياس ١٤١
والبة بن الحباب ١٤٩
الوليد بن يزيد ١٥٥
المجون فى العصر الحديث ١٦٥
نماذج من الشعر الضاحك المعاصر ١٧٧

كتاب الهلال القادم :

اعلام الادب والفكر والدين يروون

قصة الازهر

رحاب العلم والايمان

يصدر ٥ يناير سنة ١٩٧٣ ـ الثمن ١٠ قروش

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جده – ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل

Sr. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406
Sao Paulo, BRASIL.



هذا الكتاب

ليس من المجون أن نكتب عن المجون ، فلقد أنشأ الاستاذ العميد الدكتور طه حسين فصولا مطولة عن أبى نواس وأصحابه من العابثين والزنادقة ، وكتب عملاق الأدب عباس محمود العقاد عن أبى نواس أيضا ، وعن « جحا ـ الضاحك المضحك » ووضع عشرات من أعلام الأدب المعاصرين عشرات من الكتب عن أهل العبث والمجون فى الأدب العربى ، ولاتزال دواوين هؤلاء تطبع وتنشر على النـــاس وتدرس فى الجامعات حتى يومنا هذا ، والى ما شاء الله كلون من الادب ، الذى يبعث على الابتسامة مرة ، وينتزع من أعماقنـــا القهقهة مرة أخرى ، ولكن كثيرا ما تختفى وراء ابتساماتنا وقهقهاتنا استنكارات للنصوص التى نقرأها او استغفارات لله منها .

وأمهات الكتب القديمة ، كالاغانى ومعجم ياقوت وألف ليلة وغيرها من الكتب التى ينبغى لكل متأدب أن يقرأها ، لا تخلو ـ على فضلهـا وطرافتها ـ من حكايات مطولة عن شعراء المجون وعبثهم وزندقتهم وانحرافهم

وهذا الكتاب ، دراسة لهذا اللون من الادب ، تصور التيارات التى تخللت تاريخ الأدب العربى فى بعض العصور السياسية المضطربة ، ثم تنتهى الى نماذج لطيفة من عصرنا الحالى ، الذى خفت فيه وطأة المجون ، ونشأت فيه ألوان خفيفة وسمحة ومستحدثة من الشـــعر الفكه ، شارك فيها أعلام الشعر المعاصر ، كشوقى وحـــافظ ورامى وغنيم وحسين شفيق المصرى وغيرهم .

الناشر